نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامي

د. ماهر أبو المعاطى على

مقدمة :

لعل من الأمور الخطيرة التى تواجهها الحكومات - خصوصاً في الدول النامية - أن تطلعات الناس وآمالهم في حياة كريمة ومستوى أرفع من الحياة أكبر كثيراً من إمكانيات الدولة ، فحاجات الناس تتطور بسرعة وتهدف إلى تحقيق المزيد ويقابل ذلك ضعف الإمكانيات المادية والفنية والبشرية فى هذه الدول(١) ، مما أدى إلى أن تعمل تلك الدول على التوسع فى تقديم الخدمات للمواطنين وبخاصة الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والثقافة لما لها من أثر مباشر وفعال على زيادة معدل التنمية حتى يمكن تحقيق حياة تتوفر فيها عوامل الاستقرار الاجتماعى(٢) .

والمجتمع العربي من المجتمعات النامية التى تجاهد من أجل التحرر من المشاكل التى خلفها لها الاستعمار بغرض توفير الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لسكانه ، كي يعيشوا فى مستوى يليق بالكرامة البشرية وذلك عن طريق تحقيق التنمية الشاملة معتمداً في ذلك على موارده المادية والبشرية التى يمكن استثمارها من أجل تحقيق أهداف هذه التنمية .

ولكى تكون هناك تنمية يجب أن تكون هناك سياسة اجتماعية واضحة المعالم باعتبارها تحديداً وتنظيماً لاتجاهات المنهج الذى ترتضيه الدولة لتوجيه العمل الاجتماعي بها في شتى المجالات وفق الأهداف التى تسعى إليها تحقيقاً لآمال الجماهير في العدالة الاجتماعية وفي مستوى أفضل للحياة(٣) . ويلاحظ أن النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في تلك الدول عاجزة عن الاستجابة لاحتياجات السكان بطريقة ذات معنى ، حيث توقف النمو الأصيل الموافق للشريعة وفرضت بدلاً منها نظماً أجنبية تتعارض مع روح الشريعة ، مما أدى بالناس إلى الإحساس المستمر بصراع حاد بين ما استقر في ضمائرهم أنه الحق وبين الأمر الواقع الكئيب(٤) . خصوصاً أن الصفوة الحاكمة في العديد من تلك الدول الإسلامية

---

(١) مصطفى الجندى : المرجع في الإدارة المحلية (الإسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٧١) ، ص٤٩ .

(٢) منصور حسين ، كرم حبيب : التخطيط للتنمية (القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٧٠)، ص٥٤ .

(٣) يحيى حسن درويش وآخرون : التخطيط الاجتماعي (القاهرة ، مطبعة عادل ١٩٨٧) ، ص٢٨٣ .

(٤) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : نماذج ونظريات فى تنظيم المجتمع (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣) ص٢٨٣ .

وجدت أن تبني النموذج الغربي خصوصاً في ذلك الاتجاه التلفيقي الذى يتضمن أنه حيثما وجدت أحكام شرعية متطورة (مثلا فى مسائل الأسرة والأحوال الشخصية) استبقيت ، أما في المجالات التى لم يكن هناك فرصة لتطبيق أصولها العامة على واقع الحياة لفترة طويلة فإن الحل كان النقل المباشر عن الغرب(١) .

وهكذا يتضح أن السياسات الاجتماعية في أغلب تلك المجتمعات سياسات وافدة غير متوافقة مع السياق المجتمعى لواقع المجتمع المسلم ، مما استوجب ضرورة البحث عن سياسة اجتماعية من منظور إسلامي ونابعة من ظروف وإمكانيات وثقافة المجتمع العربى كمجتمع إسلامي خصوصاً بعد أن ثبت فشل الكثير من النظريات الشمولية في التنمية ، كالماركسية ، مثلا. والأمثلة علي ذلك كثيرة خصوصاً بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الجمهوريات الإسلامية ، وأيضاً فشل النظريات الرأسمالية في الدول النامية كنموذج للتحديث ، وبعد أن ثبت أيضاً أن القوانين الشرعية الإسلامية ما ضاقت عن حاجة ولا وقفت عقبة في سبيل مصلحة أو عدالة ، بل وسعت مصالح الناس على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وألوانهم ، وكانت الدولة الإسلامية في عصورها الذهبية تمتد رقعتها من بلاد الصين شرقاً إلى جبال أسبانيا غرباً ، وكان البحر المتوسط بحيرة إسلامية ، وكانت هذه الولايات تضم أمماً متباينة الأجناس والعادات والمصالح من عرب وفرس وروم ، وقد نظمت الدول الإسلامية شئون هذه الأمم والشعوب بقوانين من شريعتهم تفي بحاجاتهم(٢) .

ومن هذا المنطلق -ولأسباب سيرد توضيحها - كان هذا البحث لتحديد تلك السياسة من منظور إسلامي ، مع الإشارة إلى أن كلمة نحو في العنوان وضعت لتدل على أننا لا نزعم أن ما في هذا البحث صيغة إسلامية نهائية للسياسة الاجتماعية ، بل تشير إلى اعتبار أن ما سيرد فى هذا البحث خطوة فى طريق طويل وأن الغاية المأمولة من ارتياد هذا الطريق لا يمكن أن يحققها جهد فردى ، وإنما يجب أن تتضافر في سبيلها جهود من المؤهلين - وهم بحمد الله كثير - وليكن هذا البحث دعوة مفتوحة لمن يريد أن يسهم في ترشيد مسيرة السياسة الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية(٣) ، أما وصف السياسة بأنها متكاملة فهذا يعنى

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب وآخرون : نماذج ونظريات في تنظيم المجتمع (القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٣) ص٢١٧ .

(٢) محمد صالح عثمان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مطابع الجامعة ، الرياض، ١٩٨٤ ، ص ص١٧٠-١٧١) .

(٣) أحمد المهدى عبد الحليم : نحو صيغة إسلامية للبحث الاجتماعى والتربوى (رسالة الخليج العربي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، السعودية ، الرياض ، العدد ٢٣ ، ١٩٨٧ ص٣١) .

ضرورة توفر أحد الشروط الأساسية في أية سياسة ، وتحديد العناصر المكونة لها، والعلاقات التى تربط بين تلك العناصر على أساس يحقق الأهداف .

ويمكن معالجة هذا البحث من خلال الإجابة عن عدة تساؤلات وهى :

أولاً : لماذا تبنى الباحث المدخل الإسلامي في تحديد هذه السياسة ؟

ثانياً : ما مفهوم السياسة الاجتماعية وخصائصها في ضوء المنظور الإسلامي ؟

ثالثاً : ما الأهداف التى ترمى السياسة المقترحة إلى تحقيقها ؟

رابعاً : من هم المستهدفون من السياسة (استراتيجياً . جغرافياً . فنياً) ؟

خامساً : ما الكيفية التى يتم بها تنفيذ السياسة وعوامل نجاحها ؟

سادساً : ما الدور الذى يمكن أن تقوم به الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة ؟

وسيتم مناقشة كل تساؤل من هذه التساؤلات من خلال المباحث التى يتناولها البحث .

المبحث الأول : الأسباب التى تدعو إلى تبنى المدخل الإسلامي في تحديد السياسة :

تتعدد الأسباب والمبررات التى تدعو إلى تبنى المدخل الإسلامي في تحديد السياسة المقترحة ولعل أهمها :

أولاً : أن الشريعة الإسلامية تعتبر من أهم ركائز ودعائم السياسة الاجتماعية وهى الأساس الذى تدور حوله الركائز الأخرى خصوصاً أن دساتير أغلب الدول نصت على أن الإسلام هو دين الدولة ، ومبادئ الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسي للتشريع .

ثانياً : أن الدين الإسلامي هو التجسيد الحي لقيمة العقل البشري حيث فضل الله الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل ، والدين دعوة إلى إعمال العقل البشري لمعرفة الخالق وتطبيق ما شرعه الله للناس من تعاليم وشرائع وأحكام ، والانقياد للقيم الأخلاقية التى يحض عليها الدين والتخلق بالفضائل. والدعوة المستندة إلى الدين تقوم على منهاج الله في العمل تحقيقاً للخلافة عن الله في عمارة الأرض[1].

---

(١) محمد شتا أبو سعد : الشريعة الإسلامية (القاهرة ، مطابع الناشر العربى ، ١٩٨٧) ، ص ص ٩ – ١٣ .

ثالثاً : أن الدين الإسلامي يجسد الحقيقة الإيمانية للناس فيرونها كاملة فتطمئن نفوسهم ، حيث لم يكتف الدين الإسلامي بالحقيقة المتعلقة بالعقيدة فقط بل أظهر لنا الحقيقة المتعلقة بالشريعة ، ولذا كان الدين الإسلامي عقيدة وشريعة(١) ، والشريعة الإسلامية تنبثق عن عقيدة الإسلام لتنظيم حياة الفرد وحياة الأمة ، والعمل بها من أركان الإيمان ومقتضيات توحيد الله عز وجل ، وما كان للمؤمنين في حياة رسول الله صلى - الله عليه وسلم - أن يتصفوا بالإيمان لولا أنهم كانوا يتحاكمون إلى رسول الله في كل أمر من الأمور ، يستوى في هذا ما يتعلق بالعبادات ، وما يتعلق بالمعاملات ، فإن تحكيم رسول الله صلى - الله عليه وسلم - في كل شأن من شئون الحياة مع التسليم والرضا من صميم الإيمان ، ويكون هذا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى بتحكيم شريعته .

قال تعالى : **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**(٢) .

رابعاً : أن الدين الإسلامي يساير مصالح الناس ، ولذا قيل أنه حيثما توجد مصالح العباد فثم شرع الله ، ومن هنا أيضاً نفهم لماذا شرع الله سبحانه وتعالى بعض الأحكام ثم رفعها أو نسخها ، ذلك أن الأحكام سارت مع مصالح العباد وجوداً وعدماً .

قال تعالى : **﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ..﴾**(٣) .

والمدقق في الأحكام التكليفية يتبين له إلى أى حد كانت الشريعة رحمة ورأفة بالبشر؛ لأنها تحقق مصالحهم وترفع الضرر عنهم ، حيث أثبت الاستقراء أن الأحكام كلها في الشريعة الإسلامية تقوم على المصلحة الإنسانية ، فما من أمر شرعه الإسلام بالكتاب والسنة إلا أثبت المصلحة ، حتى أن بعض الباحثين المحققين من كتاب الفقه يقررون أن الأحكام التكليفية في الشريعة ترتبط بالمصلحة ارتباطاً وثيقاً ، ومراتب التكليف تختلف باختلاف ما فيها من مصالح ، فالأمر المطلوب طلباً حتمياً يكون كذلك لتيقن المصلحة فيه . ويختلف اللزوم الحتمى باختلاف قوتها فيه، وما لا تكون فيه المصلحة مؤكدة يكون محرماً ، ويختلف التحريم قوة وضعفاً باختلاف قوة الضرر، فما يكون أقوى ضرراً يكون أشد تحريماً ، وما لا يكون فيه الضرر مؤكداً يكون من غير الحكم بالتحريم مكروهاً ، وما لا يثبت رجحان

---

(١) محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة (القاهرة ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٩٧٢) ص ٢٢ .

(٢) سورة النساء : الآية ٦٥ .

مناع خليل القطان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية ، مرجع سابق ذكره ، ص ١٩٨.

(٣) سورة البقرة : الآية ١٠٦ .

الضرر على النفع فيه يكون المكلف مخيراً ، وأن كل حكم تصدى القرآن لبيانه أو السنة لتوضيحه يكون مشتملاً على مصالح العباد ، وإن خفيت على بعض الناس فإن ذلك لا يمنع وجودها ، فخفاء الأمر لا يستلزم عدم وجوده(١) .

خامساً : أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق ، وإن الرسول - ﷺ - كان المثل الأعلى في القول والعمل للرعاية الاجتماعية ورد الحقوق ، وكان الخلفاء الراشدين من بعده مثلا للقدوة الحسنة وحماية حقوق الإنسان(٢) .

سادساً : اتسام الشريعة الإسلامية بخصائص تؤكد صلاحيتها لصوغ سياسة اجتماعية متكاملة، ولعل من أهم تلك الخصائص والمزايا (الربانية ، العالمية ، الشمول ، العطاء والتجدد والعدل المطلق) . فالإسلام ليس مجرد دين عبادة فقط ، وإنما هو دولة منظمة تقوم على أساس سليم يراعى وجه الله سبحانه وتعالى وصالح البشرية والإنسانية(٣).

المبحث الثاني : مفهوم السياسة الاجتماعية وخصائصها في ضوء المنظور الإسلامي :

لقد تناول علماء كثيرون وضع تعريف للسياسة الاجتماعية ومن هذه المحاولات :

التعريف الأول : هى عبارة عن أفكار أو مفاهيم تعتبر كموجهات للعمل على حل مشكلات المجتمع(٤) .

التعريف الثاني : هى تحديد وتنظيم المنهج الذى ترتضيه الدولة لتوجيه العمل الاجتماعي بها في شتى المجالات والهيئات وفق الأهداف التى تسعى إليها تحقيقاً لآمال شعبها في مستوى أفضل للحياة(٥).

---

(١) محمد صالح عثمان : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ١٩٨٤، ص ص ١٦١ - ١٦٢) .

(٢) عبد الله محمد سعيد : النفقة في الشريعة الإسلامية (القاهرة ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٦ ، ص ٢٥٥).

(٣) عبد الله ناصح علوان : حتى يعلم الشباب (القاهرة ، دار السلام للطباعة ١٩٨٣ ، ص ص ٤٥ -٧٥).

(4) Martin Rein : From policy to practice , the Macmillan press , LTD , 1983 , p 210.

(٥) يحيى حسن درويش وآخرون : التخطيط الاجتماعي (القاهرة ، مطبعة عادل ١٩٨٧ ، ص ص ٣٨٥ - ٢٨٦) .

التعريف الثالث : هى الخطة القائمة في المجتمع ، أى في سلوكيات وأفعال صادرة عن الحكومة وهى إما أن تكون نظاماً مستقلاً أو مرتبطاً بالأنظمة الأخرى الموجودة في المجتمع(١) .

التعريف الرابع : أنها ميدان للعمل الاجتماعى وحل المشكلات التى تواجه المجتمع(٢) .

وبمناقشة التعاريف في ضوء الإطار العام للتصور الإسلامي الصحيح حول الإنسان والمجتمع والكون المنبثق من الكتاب والسنة(٣).

يلاحظ ما يلى :

أولاً : أن التعريف الأول أوضح أن السياسة الاجتماعية أفكار أو مفاهيم ، وهذه الأفكار أو المفاهيم لابد بداية أن تنبثق عن السياق الاجتماعي والثقافي للمجتمع المستهدف بهذه السياسة . وحيث أن الدين الإسلامي يشكل عصب النسيج الثقافي للمجتمع المسلم حيث أنه لايتصور نجاح سياسة اجتماعية في هذا المجتمع مالم تكن سياسة اجتماعية إسلامية، وكون هذه الأفكار أو المفاهيم تعتبر موجهات للعمل على حل مشكلات المجتمع فإن هذا التوجيه لن يتأتى إلا إذا كانت هذه الأفكار أو المفاهيم تعبر تعبيراً صحيحاً عن النسق القيمي الموجه للسلوك الاجتماعي في المجتمع.

وهذا التعريف يخلص إلى الحديث عن السياسة الاجتماعية بشكل محايد ، وإن كان لاينفي أن يكون لكل مجتمع تصوره لهذه الأفكار أو المفاهيم وفقاً لطبيعته وبنائه الاجتماعي والثقافي والحضاري الذى يميزه عن غيره من المجتمعات .

ثانياً : أن التعريف الثاني أوضح أن السياسة الاجتماعية عبارة عن :

أ - منهج ترتضيه الدولة .

ب - هذا المنهج يوجه العمل الاجتماعي .

ج - يتم ذلك وفق أهداف الدولة .

---

(1) Alfred J. Kahn : Theory and practice of social planning (New york , Russellsagen Foundation ,1969 , p 13 .

(2) Martin Rein ; Social policy Issuses of choice and change (Random House , New York , 1970 , p. 8 .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : مداخل التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية (ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩١) ص١٣-٣٧ .

د - تحقيقاً لآمال الشعب في مستوى أفضل للحياة .

وإذا نظرنا إلى هذه الجوانب الأربعة في التعريف لاتضح لنا ما يلى :

• أن المنهج الذى ترتضيه الدولة في مجتمع مسلم ينبغى أن ينبى على أساس تعاليم الإسلام الذى ارتضاه الله تعالى لنا ديناً .

قال تعالى : ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾(١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾(٢).

وفي موضع آخر : ﴿وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(٣).

مع ما يتميز به الإسلام من كونه نظاماً شاملاً للحياة ، فالدولة في المجتمع المسلم ملزمة شرعاً ألا تتبنى أية مناهج تتعارض مع الإسلام بتعاليمه وقيمه وشرائعه وأحكامه ، وقد أثبتت التجربة بمالا يدع مجالاً للشك فشل كل المناهج الوافدة التى اعتمدت عليها العديد من المجتمعات الإسلامية لمواجهة مشكلاتها .

مادام هذا المنهج يستهدف توجيه العمل الاجتماعي على أساس ما تشير إليه كلمة اجتماعي من مضامين ثقافية وحضارية فإن ذلك يستوجب على الأقل توافق هذا المنهج مع السياق الاجتماعى والثقافى للمجتمع .

وأن أهداف الدولة في المجتمع المسلم هي أهداف شرعية أو ينبغى أن تكون كذلك .

وأن آمال الشعب في مستوى أفضل للحياة يحكمها بالضرورة النسق القيمي الموجه للسلوك الاجتماعي العام .

وتأسيساً على ما سبق فإن السياسة الاجتماعية في المجتمع المسلم ينبغى أن تكون ترجمة صادقة لآمال الشعب وأهداف الدولة ومتطلبات العمل الاجتماعي ، التى يفترض أن تكون ترجمة صادقة لآمال الشعب وأهداف الدولة ومتطلبات العمل الاجتماعي التى يفترض أن تكون غير متعارضة بل نابعة من التوجيه الإسلامي للمجتمع بأفراده وجماعاته ومؤسساته ونظمه الاجتماعية.

ثالثاً : يلاحظ أن أغلب تلك المفاهيم في حقيقة الأمر معتقدات نبتت في المجتمع الأوروبى وهى وافدة على المجتمعات الإسلامية ، لأنها تشكلت في تلك المجتمعات الغربية

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٨٥ .

(٣) سورة الأنعام : ١٥٣ .

وفق مصالحها وغاياتها بما تحمله من تناقضات مع ما يدعو إليه الإسلام باعتباره بديلا عن كل الأيديولوجيات لأنه أشمل وأعم منها.

رابعاً : أن أغلب تلك المفاهيم قد ضلت سبيلها حتى تصورت أن الإنسان مادة فحسب ، فقامت على أساس إشباع البعد الواحد ، وهو بعد المادة متناسية أن الإنسان أيضا روح ، فأغفلت البعد الروحى مما أفقد الإنسان توازنه(1).

قال تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾(2).

وقال سبحانه : ﴿فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾(3).

وبذا فإن تلك السياسات قد استهدفت مجرد تغيير الظروف المادية المحيطة بالإنسان وأهملت تهذيب العقيدة وإصلاح النفس .

قال تعالى : ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(4).

خامساً : أن تلك السياسات انطلقت من منطلقات علمانية وتجزيئية بدلاً من النظم والترتيبات المرتبطة بالمجتمعات الإسلامية ، مما أدى إلى عدد من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلى(5):

١- تبنت معظم الدول الإسلامية مفهوم الرعاية الاجتماعية القائم على فكرة الحقوق الموحدة وغير الشخصية للمواطنين المتساوين فى درجة حاجتهم والتى تقدم بطريقة غير شخصية لمن يحتاجونه كحقوق مفروضة مدنياً ، وذلك بدلاً من مفهوم التكافل الاجتماعي العضوى القائم على أساس فكرة الأخوة في الله والتراحم بين المسلمين وما يترتب عليها من ارتباط شخصي وثيق، والذى تنطلق الحقوق فيه مما فرضه الله سبحانه - الذى يعلم ما فيه الخير لخلقه - وعلى الوجه الذى شرعه .

٢- تولت الحكومات الوطنية المسئولية الأساسية عن بعض البرامج العامة كالضمان الاجتماعي - التي يتم الإنفاق عليها من حصيلة الضرائب العامة - دون أخذ الواجبات

---

(١) رفعت السيد العوضي : فى الاقتصاد الإسلامي (المرتكزات - التوزيع) كتاب الأمة . قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية شعبان ١٤١٠ هـ ، ص ٤٤-٤٦ .

(٢) سورة الحشر : الآية ١٩ .

(٣) سورة طه : الآية ١٢٣ .

(٤) سورة الرعد : الآية ١١ .

(٥) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجماعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢) ص ص٧-٨ .

الدينية كفريضة الزكاة فى الاعتبار ، وقد قصرت موارد معظم الـدول دون الإنفـاق الكـافى على تلك البرامج حتى أصبحت شكلاً خارجياً لا مضموناً حقيقياً له ، من جهة عدم القدرة على تقديم الحد الأدنى اللازم للمعيشة وفقاً لما هو مفروض نظرياً .

٣- تضاؤل الدور الذى تقوم به الترتيبات والنظم المحلية التقليدية التى كانت تتحمل في الماضى المسئوليات المتكافئة مع وظائف الرعاية الاجتماعية بالمفهوم الحديـث ، وخصوصـاً شبكة الدعم الاجتماعي غير الرسمي المتمثلة في الدعـم الأسرى وعلاقـات الجـوار والأوقـاف الخيرية نتيجة لشعور المواطنين بأن الدولة قد التزمت بالقيام بتلك الالتزامات بدلاً من الأفـراد المنظمة فاستشرت السلبية بـين المسلمين إلى حـد يصـل إلى التبلـد وعـدم الإحسـاس بحاجة الآخرين في بعض الأحوال .

٤- تضاؤل دور الجهود التطوعية المنظمة ، وضعف المبادرة الذاتية للمواطنـين نتيجة لتضييق بعض الحكومات (خصوصاً في فترات ما يسمى بالتحول الاشتراكى) على المجتمعات الأهلية وإحاطتها بالشكوك بسبب التخوف الذى تشعر به تلك الحكومـات نحـو أى تعـاون أصيل فيما بين المواطنين للصالح العام ، لئـلا يـؤدى ذلـك في المـدى البعيـد إلى تقويـة شـعور المواطنين بكيانهم وقوتهم مما يقلق بعض النظم الحاكمة .

٥- تم نشر العديد من المؤسسات التى تقدم الخدمات اللازمـة لبعـض فئـات المجتمـع المحتاجة للرعاية كالأطفال والمعوقين والمسنين على نفس الأسس التي تقـوم بهـا في المجتمعـات غير الإسلامية، حيث يتم التركيز على إشباع الحاجات المادية أساساً ، والنفسية والاجتماعية بشكل أقل ، أما الحاجات الروحية فلا تكـاد تدخـل في الاعتبـار أصـلاً إلا في أضيـق نطـاق وكقطاع مستقل عن بقية جوانب الرعاية الأخرى ، بدلاً من أن تكون محوراً لجميع ما يقـدم من خدمات وما يبذل من جهود ، مما أفقد تلك المؤسسات قدراً كبيراً من فاعليتها .

وفي ضوء ما وجه للمفاهيم السابقة يمكـن التوصـل إلى تعريـف يخـدم موضـوع هـذا البحث للسياسة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي هو :

السياسة الاجتماعية هى القرارات الصادرة علـى أسـاس مـن الشـورى والتعـاون بـين القيادات الشعبية والمهنية في المجتمع المسـلم الـذى ينتهـج تطبيـق الشـريعة الإسـلامية لتحديـد وتنظيم وتوجيه مسارات الرعاية الاجتماعية في شتى المجالات والبيئات بأفضل الطرق الممكنة وفق الأهداف التى تسعى إليها الدولة في إطار التوازن بين الأهداف المادية وغير المادية تحقيقـاً لآمال شعبها في مستوى أفضل للحياة في الدنيا والآخرة .

وفى ضوء هذا التعريف يمكن القول : أن السياسة الاجتماعية ترتكز على دعائم تحدد ماهى السياسة من منظور إسلامى وهى :

أولاً : أن الإسلام دين ودولة ولا مجال لفصل أحدهما عن الآخر ، وهكذا جاء الإسلام غير مقتصر على مجرد العقيدة والهداية الروحية ، وإنما جاء شريعة وتنظيماً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً للمجتمع ، وذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها وشريعة تنظمها كما لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الأخلاق إذا لم يطمئن المرء في حياته المعيشية ، فالعقيدة والشريعة في الإسلام يكمل كل منهما الآخر .

ثانياً : أن هذا الدين وهذه الدولة الإسلامية لها دستور مستمد من القرآن والسنة يرسم المنهج الذى يجب أن تلتزم به السياسة الاجتماعية في الدولة الإسلامية .

قال تعالى : ﴿**اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون**﴾(١).

وقال سبحانه : ﴿**وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون**﴾(٢).

ويقول جل شأنه : ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**﴾(٣).

وقال سبحانه : ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾(٥).

وفى الحديث عن ابن مسعود قال : "خط رسول الله -ﷺ- خطاً بيده ، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ، ثم قال : وهذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ ، (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)(٦).

ثالثاً : هذا المنهج الإسلامي يمثل أرقى النظم والنظريات التى تميز السياسة الاجتماعية، وهذه المميزات التى تتميز بها السياسة الاجتماعية من منظور إسلامي هى السبيل أمام الدول الإسلامية لتحقيق أهدافها في إطار من التوازن بين الأهداف المادية وغير المادية ، وتحقيق آمال شعوبها في مستوى أفضل للحياة في الدنيا والآخرة .

وأهم تلك السمات والمميزات التى تتميز بها السياسة الاجتماعية :

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٣ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٥٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٤٨ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٥) سورة الحشر : الآية ٧ .

(٦) أخرجه أحمد والنسائى والحاكم وصححه .

١- سياسة يتم التوصل إليها على أساس من الشورى والتعاون في الإسلام .

٢- توضع وفق أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق أهداف المجتمع المسلم .

٣- سياسة متكاملة متوازنة تتخذ من إشباع الاحتياجات الروحية محوراً لجميع ما يقدم من خدمات لإشباع الاحتياجات المادية وغير المادية على السواء .

٤- تهتم بالبعد العقائدى باعتباره أساساً يؤثر على كل الأبعاد الأخرى للسياسة .

٥- تحقق العدالة بين الناس وتؤكد مبدأ تكافؤ الفرص بين أفراد المجتمع المسلم .

٦- تحدد تلك السياسة منارات الرعاية الاجتماعية وتوجهها في شتى المجالات والبيئات آخذة في الاعتبار مقاصد الشريعة مفهوماً أساسياً تنطلق منه لتحقيق أهدافها .

وسيتم شرح تلك الخصائص تباعاً عند الحديث عن أهداف السياسة والكيفية التى تنفذ بها والمستهدفين منها ودور الخدمة الاجتماعية في ذلك آنفاً .

المبحث الثالث : الأهداف التى ترمى السياسة المقترحة إلى تحقيقها :

ويقصد بأهداف السياسة محصلة النتائج التى تسعى السياسة إلى تحقيقها من خلال نشاطاتها المختلفة ، وتعنى التغيير المقصود أو المطلوب نتيجة تنفيذ السياسة .

ويمكن أن نحدد الأهداف التى تسعى السياسة المقترحة إلى تحقيقها فيما يأتى :

الهدف الأول : المشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم والارتقاء بمستواه وتحقيق مصالحه بحيث يصبح هو الغاية والوسيلة بهدف المشاركة الإيجابية في شئون مجتمعه : الإنسان في منهج الإسلام هو خلق الله سبحانه وتعالى والذى أعلن مولده بنفسه ، قال تعالى : **﴿إنى خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون﴾**[1].

وقلده أمر الخلافة في الأرض .

قال تعالى : **﴿إنى جاعل في الأرض خليفة﴾**[2].

وأسجد له ملائكته الذين لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

قال سبحانه : **﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين﴾**[3].

وعلمه وأدبه .

---

(١) سورة الحجر : الآية ٢٨ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٣٠ .

(٣) سورة الحجر : الآية ١٩ .

قال تعالى : ﴿**الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان**﴾[1].

وهداه إلى الطريق المستقيم ووضح له طريق الخير والشر .

قال سبحانه وتعالى : ﴿**وهديناه النجدين**﴾[2].

ومنحه حرية الاختيار .

قال تعالى : ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾[3].

وأعطاه الإرادة ليفرق بين الحق والباطل وبين الفجور والتقوى .

قال تعالى : ﴿**ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها**﴾[4].

وزوده بالإدراك ووسائله ...

قال تعالى : ﴿**وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة**﴾[5].

وأنزل له منهجاً للتربية والتوجيه ، يتناول الإنسان من تاريخ ولادته ويتبعه طفلاً ويافعاً وشاباً وكهلاً حتى آخر حياته[6] .

وتهدف عملية بناء الإنسان والارتقاء بمستواه وتهذيبه ضماناً للمجتمع الصالح ، كما أنها تبدأ في الدنيا تحقيقاً لصالحه في الدنيا والفوز برضوان الله وجنته في الآخرة ، وأهم هذه الأهداف[7]:

١ - الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان المسلم بخالقه ، وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهية الخالق وعبودية المخلوق .

قال تعالى : ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[8].

---

(١) سورة الرحمن : الآيات ١-٤ .

(٢) سورة البلد : الآية ١٠ .

(٣) سورة المدثر : الآية ٣٨ .

(٤) سورة الشمس : الآيتان ٧-٨ .

(٥) سورة الملك : الآية ٢٣ .

(٦) عبد الرحمن عميرة : التربية الإسلامية وأثرها في المجتمع (مؤتمر الفقه الإسلامي ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ١٩٨٤ ، ص٢٧٥ .

(٧) نبيل السمالوطي : بناء المجتمع الإسلامي ونظمه (السعودية ، دار الشروق جدة) ،١٩٨٢ ص١١٧ -١١٩) .

(٨) سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

وقال تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[1].

٢- تطوير سلوكه : بناء أو تغيير اتجاهاته اللفظية والعملية السلوكية بحيث تتسق وتتطابق مع السلوكيات والاتجاهات الإسلامية .

قال تعالى : ﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾[2].

٣- إعداده لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا :

قال تعالى : ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾[3].

وقال تعالى : ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾[4].

وهذا هو ما يطلق عليه الإعداد المهني للحياة .

٤- إعداده لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض.

قال تعالى : ﴿هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾[5].

وقال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[6].

٥- غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشئ ، مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر.

قال تعالى : ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون﴾[7].

والإخلاص وإحضار النية .

قال تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيم﴾[8].

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) سورة الأعلى : الآيات ١٤-١٧ .

(٣) سورة الملك : الآية ١٥ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ٨٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٣٣ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٠٤ .

(٧) سورة المؤمنون : الآية ٥٢ .

(٨) سورة البينة : الآية ٥ .

والصبر ..

قال تعالى :﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[1].

والصدق ..

قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[2].

ومراقبة الله ..

قال تعالى : ﴿إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾[3].

والتقوى ..

قال تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾[4].

إلى آخر هذه القيم كالتوكل على الله والاستقامة والمبادرة إلى الخيرات ... إلخ .

وتستهدف هذه السياسة الاجتماعية كجزء من التشريع الإسلامي أهدافاً منها رفع الحرج، ورفع المشقة ، وتحقيق مصالح الناس جميعاً [5]، كما أن الأحكام كلها في الشريعة الإسلامية تقوم على المصلحة الإنسانية ، فكل حكم تصدى القرآن لبيانه أو السنة لتوضيحه يشتمل على مصالح العباد ، والمصالح التى يقررها الإسلام أساساً للتشريع والتى تشتمل عليها الشريعة في نصوصها وفي كلياتها ترجع إلى المحافظة على خمسة أمور تعتبر في نظر الإسلام حقاً من الحقوق الإنسانية التى يتوجب على الدولة ضمانها وهى[6]:

أ- المحافظة على النفس .

ب - المحافظة على الدين .

ج- المحافظة على النسل .

د- المحافظة على العقل .

هـ- المحافظة على المال .

والمشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم وتحقيق مصالحه تنطلق من قيمة احترام كرامة الإنسان والحفاظ عليها .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ٢٠٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ٥ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(٥) محمد يوسف موسى : الإسلام وحاجة الإنسانية إليه (الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٧٨ ، ص٣١٢) .

(٦) محمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام (بيروت ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، ص٦٢) .

قال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾(١).

وهذه المشاركة الفعالة في بناء الإنسان المسلم والارتقاء بمستواه تحمله على أن يعرف مكانته في هذا الوجود التى بوأها الله إياها ، ووظيفته التى كلفه بها ويقتضى منه ذلك أن يتحرك وفق خصائص الإنسانية الأصلية وفطرته الطيبة النقية فلا يهبط ولا يسف ولا يتقاصر عن السمو والارتقاء بل ينطلق في رحاب الجد والعلم والإنتاج دون أن يشوب انطلاقه غرور أو ظلم أو كبرياء ، فالإنسان طبقاً للتصور الإسلامي للكون والحياة يقوم على حقيقة أن كل شيء يخضع لله عز وجل وتبعا لأوامره .

الهدف الثاني : إشباع أقصى قدر من الحاجات الأساسية وضمان حد الكفاية لكل فرد من منظور المصالح المقصودة في التشريع الإسلامي :

إن تكاليف الشريعة التى ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق ثلاثة أقسام :

أحدها أن تكون ضرورية ، والثاني أن تكون حاجية ، والثالث أن تكون تحسينية(٢).

وأول هذه المقاصد وهو الضروريات : فهى التى لابد منها لصالح الناس فإذا أهملت عم الفساد، وانتشرت الفوضى ، واختل نظام الحياة ، وهى خمس : حفظ الدين ، حفظ النفس ، حفظ العقل ، حفظ النسل ، حفظ المال .

وتكون التكاليف التى يحفظ بها كل نوع من الضروريات الخمس من الجزئيات أى التكاليف العلمية أو الاقتصادية التى تعود إلى أى مقصد من المقاصد العامة – وتكون سلباً أو إيجاباً ، أما الإيجاب فبالأوامر التى تدعو إلى القيام بالفعل ، وأما السلب فبالنواهى التى تدعو إلى ترك الفعل . فمن الأوامر التى تدعو لحفظ الدين مثلاً – الإيمان بالله وبعناصر العقيدة الإسلامية وفرض العبادات أو إيجاب قتال المرتدين ، ومن النواهى ، النهى عن المنكر وتحريم الشرك وعقوبة من يبتدع في الدين ماليس منه أو يحرف أحكامه في مواضعها .

الهدف الثالث : تحقيق التوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية على المواطنين على أساس من العدالة في توزيع الحقوق والواجبات وإذا كانت سمة الإسلام في التوزيع هى العدالة، لقوله تعالى : ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾(٣).

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

(٢) محمد الحبيب الخوجة : وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية (مؤتمر الفقه الإسلامي ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) ، مطابع الجامعة ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص١٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية ٨ .

فإن أبرز صور ذلك هو حفظ التوازن بين الأفراد على مستوى الوطن الواحد ، فالإسلام إذاً يحث ويدعو إلى الثروة والغنى إلا أن ذلك مشروط بألا يكون المال متداولاً بين فئة قليلة من الناس ، وبعبارة أخرى ألا يكون هناك تفاوت شديد في توزيع الثروات تستأثر من خلاله فئة معينة من الأفراد ، وللإسلام وسائله في ضبط التفاوت وحفظ التوازن منها :

١- عدم السماح بالثروة والغنى إلا بعد ضمان حد الكفاية لا الكفاف لكل فرد .

٢- عدم السماح باستئثار أقلية بخيرات المجتمع .

٣- إعادة التوزيع عند افتقاد التوازن .

وهو ما فعله الرسول -ﷺ- عند هجرته إلى المدينة إذ ظهر اختلال في المراكز الاقتصادية بين المهاجرين والأنصار بعد أن ترك المهاجرون أموالهم بمكة بينما كان الأنصار مستقرين بالمدينة وأساس ثروتهم هو الزراعة ولبعضهم أراضى واسعة استخدموا فيها المهاجرين كأجراء . وهو ما لايحقق التوازن الاقتصادي ، ومن ثم حرم الرسول عليه السلام تأجير الأراضى الزراعية بقوله : "من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يؤجرها إياه" ، أخرجه أبو داود .. حتى إذا ما استقرت الأمور للمهاجرين وتحسنت أحوالهم المادية أجاز الرسول عليه السلام تأجير الأراضي الزراعية .

كما أنه في أواخر أيام سيدنا عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- حين بدأت تظهر طبقة من كبار الأثرياء ولم يمتد به الأجل ليواجهها بما عرف عنه من حسم ، نقل عنه كلمته المشهورة"لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت فضول الأغنياء فرددتها على الفقراء".

وقوله "والله لئن بقيت إلى الحول لألحقن أسفل الناس بأعلاهم" .

ولكن القدر لم يمهله[١].

ولتحقيق التوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية فإن الإسلام لا يقبل أن تنفرد بالتنمية المدن دون القرى أو أن تقدم الكماليات أو التحسينات على الضروريات .

وينبغي أن يتم تحقيق ذلك التوازن بشكل متناسب مع جهود المواطنين ودورهم في مواجهة مشكلات التخلف ، ونفس الأمر بالنسبة لعدالة توزيع الحقوق والواجبات ، ذلك أن الشعور بالعدالة متغير أساسي في تحقيق الانتماء والولاء الطوعى والمخلص للمجتمع[٢] . وأن يكون التفاضل على أساس العمل الصالح وتقوى الله .

---

(١) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والمشكلة الإقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر) ، ١٩٨٧ ، ص١٥٥-١٥٨.

(٢) نبيل السمالوطى : علم الاجتماع ودراسة مشكلات المجتمع المصرى (القاهرة ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية ، جامعة الأزهر) ١٩٨٦ ص ص٢٦-٢٧ .

وتحقيق المساواة والتوازن في توزيع أعباء التخلف والتنمية على المواطنين منطلق من قيمة المساواة، وغاية الشريعة الإسلامية من تقريرها لمبدأ المساواة ، السمو بالمجتمع الإنساني والارتقاء بنظمه ومثله عن طريق بنائه على أسس قوية وقواعد هادفة[1] . فقد قرر الإسلام المساواة بين الناس وقضى في الحقوق والواجبات على الفوارق بين بنى الإنسان وأعلنهم في صراحة لاتعرف المواربة أنهم جميعاً من نفس واحدة .

قال تعالى : **﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾**[2]

عن حذيفة -رضي الله عنه- قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان)).

ويتوخى فى تحقيق ذلك التوازن فى توزيع أعباء التخلف التنمية والعدل ، ذلك أن الإسلام ينظر إلى العدل على أنه مبدأ تأسيس قبل أن يكون فضيلة خلقية ولذلك جعله أساساً لنظام الخليقة كلها .

قال تعالى : **﴿والسماء رفعها ووضع الميزان ، ألا تطغوا فى الميزان ، وأقيموا الوزن بالقسط ولاتخسروا الميزان﴾**[3] .

ذلك أن العدل هو الأصل الذى بعثت به الرسل وأنزلت به الكتب .

يقول سبحانه : **﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾**[4] .

فالعدل فى الإسلام هو إعطاء كل ذى حق حقه من غير تفرقة بين المستحقين وبدون نظر إلى الأمور العارضة على الطبيعة الإنسانية كالحسب أو النسب أو المال أو القوة أو الضعف أو العداوة أو الموالاة ، فما دام الإنسان أخا الإنسان فإن ميزان القسطاس المستقيم حتمية مؤكدة بين المسلم وأخيه ، ويتخذ العدل من المساواة أساساً

---

(١) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة في الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص١٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ١ .

(٣) رواه أحمد .

(٤) سورة الرحمن : الآيات من ٧-٩ .

لوجوده وركيزة لمظاهره ، فالمساواة تجعل من العدل حقيقة ثابتة وقضية راسخة ومؤكدة فى داخل النفس البشرية وخارجها وفيما بين الأفراد من علاقات والجماعات من صلات ، وعلى هذا فإن اختل قانون المساواة ومال ميزانها لحق الاضطراب بالمجتمع وتفشى الظلم والفساد ، فالعدل المطلق فى الإسلام ناشئ عن المساواة الكاملة فى الحقوق وبين جميع الناس(١) .

قال تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾(٢) .

وقال تعالى :﴿**وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون**﴾ .

وفى الحديث : عن أبى هريرة -رضى الله عنه- عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :((ما من أمير إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لايفكه إلا العدل))(٣) .

وفى ظل ذلك يتحقق للإنسان(٤) :

أ- الاطمئنان النفسى والثقة فلا عدوان على مال أو نفس أو عرض .

ب - الانحراف عن الجرائم مادامت حقوق كل إنسان مكفولة له وتصل إليه كاملة فليس هناك مايدفعه إلى الانحراف .

ج - الحصول على ثمرات العمل والجد ، وهذا مايدعو إلى إتقان الأعمال ويثير التنافس فيكثر الإنتاج ويجود ويمتد إلى جميع المجالات .

د - وضع الإنسان المناسب ويترتب على ذلك أن تفتح الأبواب أمام الابتكار والاختراع الجديد الذى ييسر الحياة ويغرس على جوانبها الخير .

وبذا تكون السياسة الاجتماعية سبيلاً لتحقيق التوازن بين المواطنين على أساس من العدالة فى الإسلام .

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٥ .

(٢) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة فى الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص ص ١٨-٣٢ .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٤) رواه أحمد: محمد نجيب توفيق :أضواء على الرعاية الاجتماعية فى الإسلام (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٨٤)، ص ص٩٣-٩٤ .

الهدف الرابع : تقوية الروابط بين المواطنين وتدعيم العلاقات بينهم على أساس الإخاء والتعاون فى الإسلام :

حيث تهدف السياسة الاجتماعية المقترحة إلى تقوية الروابط بين المواطنين وتدعيم العلاقات ، وإحياء روح الحب بين الأفراد والجماعات حتى تتصافى النفوس وتتآلف القلوب، ذلك أن الشريعة الإسلامية قد نبذت العنصرية والإقليمية والجنسية كرباط يجمع بين الناس لأن فى ذلك تحديداً وتطبيقاً ، ولكنها وحدت بين الجميع عن طريق عقيدتها السامية التى يدين بها الكل عن إيمان واقتناع ، وتجسدت هذه الروابط فى صورة الأخوة الدينية كعقيدة تذوب فيها الفواصل الطبقية .

يقول تعالى : **﴿ إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾**(١) .

فالإخاء فى نظر الإسلام أمر طبيعى يربط بين جميع المسلمين ويتحقق تلقائياً بمجرد الإيمان بعقيدة الإسلام ، كما أنه واحد من الأمور الأساسية العملية التى يتبنى عليها نظام الجماعة الإسلامية ، لأنه الإطار القوى الذى يجعل من المسلمين أسرة واحدة يفرح فيها المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويهرع إليه إذا ألم به مكروه ، فيمد له يد العون ويقدم له المساعدة ، كما يحفظه فى ماله وعرضه غائباً وحاضراً ، ولذلك امتن الله على نبيه وعلى المؤمنين بالإخاء كنعمة كبيرة(٢) .

قال تعالى :**﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾**(٣) .

وقال سبحانه :**﴿هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ، لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ماألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إن الله عزيز حكيم﴾**(٤) .

وعن طبيعة العلاقات بين الأفراد بالإضافة إلى الأخوة يدعو الإسلام إلى التعاون بين الأفراد واضعاً فى اعتباره أن للفرد فى ذاته مصلحة خاصة فى أن يقف عند حدود معينة فى استمتاعه بحريته ، وأن للمجتمع مصلحة عليا لابد وأن تنتهى عندها حرية الأفراد والجماعات ولذا يدعو الإسلام إلى التعاون بين الفرد وغيره وفى ذلك يقول تعالى :

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٠ .

(٢) رشاد حسن خليل : مفهوم المساواة فى الإسلام (الرياض ، دار الرشد للنشر والتوزيع) ، غير مبين سنة النشر ص ص ٢٢-٢٣ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

(٤) سورة الأنفال : الآيتان ٦٢-٦٣ .

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثـم والعـدوان واتقـوا ا لله إن ا لله شـديد العقاب﴾[1] .

وفى الحديث :

عن ابن عباس -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((مـامن عبـد أنعـم ا لله عليه نعمة فأسبغها عليه ، ثم جعل من حوائج الناس إليه فتبرم (فضجر) فقد عـرض تلك النعمة للزوال))[2] .

عن النعمان بن بشير -رضي الله عنه- عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال : ((مثـل المؤمنـين فـى توادهـم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منـه عضـو تداعـى لـه سـائر الجسد بالسهر والحمى))[3] .

ولما كان التعاون أساس لتقوية الروابـط بـين المواطنـين بمـا يـؤدى إلى تماسـك المجتمـع المسلم فإنه لابد أن يشمل جميع الميادين ، وأن يكون فى كل شكل من أشكال الحياة شريطة ألايتعارض مع أوامـر ا لله ونواهيه ، وألا يكـون فـى المنكـر والإثـم وسـواء شمـل الجمعيـات التعاونية والمشاريع الزراعية والتجارية والشركات من التعاون المـادى ، أو شمـل ضـم الجهـود على تربية الأفراد وإعانة البشر من التعاون المعنوى وأن تكون الوسيلة لتحقيق أهدافه خاضعة لأوامر ا لله وأحكامه[4].

الهدف الخامس : المشاركة فى تجديـد وتطويـر ودعـم النظـم الاجتماعيـة القائمـة لزيادة كفاءتها بالنسبة لجهود إحداث التغيير المطلوب :

وتنطلق مسئولية المشاركة فى زيادة كفاءة النظم الاجتماعية القائمة من قيمة المسئولية المشتركة من خلال الجهود الحكومية والأهلية والوحدة بين سكان المجتمـع وتعـاونهم ، ولقـد قرر الإسلام المسئولية وألزم بها المجتمع والأفراد باعتبارها ناشئة مـن عقيدتـه وإيمانـه وجعلهـا مرتبطة بالمجتمع .

---

(١) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٢) رواه الطبرانى بإسناد جيد .

(٣) رواه مسلم وأحمد .

(٤) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكامل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى الأردن ، ١٩٨١ ص ص ٢٩٣-٢٩٥) .

والإسلام يحمل أفراد المجتمع مسئولية المشاركة فى إحداث التغيير ، وتطوير ودعم النظم لزيادة كفاءتها ولايعفيه من هذه المسئولية أن يكون منعزلاً أو منطوياً على نفسه[1] .

قال تعالى : ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾[2] .

ولايجوز مطلقاً أن يهمل الترابط الاجتماعى فى المسئولية .

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[3] .

وفى تحمل تلك المسئولية يقول الرسول – ﷺ – : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته ، والولد راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»[4] .

هذه المسئولية ليست أمام الجماعة فحسب أو أمام القانون وكفى ، بل هى مسئولية تمتد لتحيط بالإنسان فى ظاهره وباطنه ، فى سره وعلنه ، لأنها أمام الله الذى لا تخفى عليه خافية[5] .

وهذه المشاركة تنطلق من قيم أساسية تتضمن :

أ – أن الإسلام لايتعارض مع حرية الفكر بل دعا إليها بشرط أن يتناول ذلك الأمور التى لم يتناولها الشرع بنهى أو ترك .

قال تعالى: ﴿قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾[6] .

وقال تعالى فى الحث على التفكير والثناء عليه :

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾[7] .

---

(١) عبد العزيز الخياط: المجتمع المتكامل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١) ص ص ٢٦٣-٣١٤ .

(٢) سورة الحجر : الآيتان ٩٢-٩٣ .

(٣) سورة الأنفال : الآية ١٠٥ .

(٤) رواه الترمذى .

(٥) عبد رب النبى أبو السعود : التخطيط للدعوة الإسلامية (القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٣) ، ص ٢٠٨ .

(٦) سورة العنكبوت : الآية ٢٠ .

(٧) سورة يونس : الآية ٢٤ .

وقال سبحانه فى إعلاء شأن العقل والدعوة إلى إعماله فى فهم آيات الله وإدراك دلائل الهداية فى الكون والحياة :

﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾(١) .

وفى الحديث : عن أبى هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»(٢) .

ب – أن الإسلام لايتعارض مع الإعداد للمستقبل والتطور ومحاولة مواجهة المواقف . قال تعالى : ﴿وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾(٣) .

كما يدعو الإسلام إلى الاستفادة من خبرات الآخرين للمشاركة في تطوير ودعم النظم القائمة طبقاً لما كان موجوداً في صدر الإسلام .

قال تعالى : ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾(٤) .

ويمكن القول بأن الإسلام يقدم لنا النظرة الشاملة للتغيير ومعالجة مشكلات المجتمعات التى هى ثمرة لعوامل متعددة ، ومواجهة التخلف الذي لحق بالنظم القائمة بها، ويضع القيم الضابطة له ، ويبقى على الإنسان أن يسعى ويجتهد لوضع برامج التغيير المطلوب والتى تحقق أهداف السياسة من منظور إسلامى ، ذلك أن هذا التغيير يجب أن يكون منبثقاً من الداخل ، معتمداً على قدرة أفراد المجتمع بصفة عامة والقائمين على وضع وتنفيذ السياسة بصفة خاصة على التغيير الذاتى امتثالا لقوله تعالى :

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾(٥) .

المبحث الرابع : المستهدفون من السياسة (استراتيجياً، جغرافياً، فكرياً) :

يلزم أن يكون للسياسة الاجتماعية تأثير مباشر على جميع مجالات الأنشطة الخدمية والإنتاجية ، ويمكن النظر إلى مجال تأثير السياسة طبقاً لما يلي :

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٧٦ .

(٥) سورة الرعد : الآية ١١ .

أولا : استراتيجياً :

يجب أن تتضمن مجالات العمل[1] .

١- المجال الوقائى : بالعمل على :

أ- سد خلة المجتمع (التكافل الاجتماعي)

ب- سد ذرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية)

٢- المجال العلاجي : عن طريق :

أ- الإصلاح الاجتماعي (علاج المشكلات الاجتماعية)

ب- تفريج الكرب (علاج المشكلات الفردية)

ج- إغاثة الملهوفين (نجدة ضحايا الكوارث)

٣- المجال الإنمائى : عن طريق :

أ- تزكية النفس (الارتقاء الأخلاقي).

ب- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعي) .

١- المجال الوقائى :

أ- سد خلة المجتمع (التكافل الاجتماعي) :

حيث اهتم الإسلام بنظام التكافل فأظهر العلاقات بين كافة الوحدات الإنسانية بصورة فيها التساند الكامل ، فهو يقرر مبدأ التكافل بين الفرد وأسرته وبين الفرد والجماعة وبين الأفراد والجماعات والمجتمع وبين الجيل والأجيال المتعاقبة[2] .

والتكافل الاجتماعي في الإسلام ليس قاصراً على المفهوم المادي فحسب بل هو شامل لجميع نواحى الحياة المادية والمعنوية ، وهو تقرير لمسئولية لوحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة مصداقاً لقوله تعالى : **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾**[3].

وقوله : **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**[4].

---

(١) زينب عطية محمد : نحو مكتز إسلامي للخدمة الاجتماعية (ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، أغسطس ١٩٩١) ، ص ص ٢-٣ .

(٢) عبد الهادى الجوهرى : التضامن الإسلامي في مجال التنمية الاجتماعية (جامعة القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨١ ، ص ١٦).

(٣) سورة المائدة : الآية ٢ .

(٤) سورة آل عمران : الآية ٩٢ .

وقوله تعالى : ﴿إنما المومنون إخوة﴾[1] .

ومبدأ التكافل الاجتماعى كما أقره الإسلام يختلف اختلافاً أساسياً عن مثيله في الأنظمة المعاصرة سواء كانت مجتمعات تقوم على أساس النظم الفردية أو تقوم على النظم الجماعية ، فكل تلك المجتمعات قد أفردت نظاماً للتكافل الاجتماعى ، ولكن أهم ما تختلف به عن التكافل الإسلامى الأمور التالية[2] :

أولها : أن التكافل فى الأنظمة الحديثة تكافل لايتناول إلا الحاجات المادية بينما التكافل الإسلامى يتجاوز هذه الصورة المادية إلى صور أرحب وأوسع من التعاون على ضمان الخير والمصلحة الفردية والعامة ، فالتعاون بمعناه الشامل تعاون على الدعوة إلى الخير وإزالة المنكر وحماية الضعفاء وإعطاء الفقراء والمساكين مايكفيهم والإحساس بكل مايصيب الجماعة أو ماتطمح إليه وتعمل له .

ثانيها : أن التكافل فى الأنظمة المعاصرة غير الإسلامية لايشمل إلا حلقة واحدة هى دائرة الفرد والجماعة ، بينما يتسع مفهومه فى الإسلام ليشمل كافة الدوائر والحلقات فهناك تكافل بين الفرد وذاته، وبين الفرد وأسرته القريبة وبين الفرد والجماعة وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيال المتعاقبة .

ثالثها : أن النظم المعاصرة إنما قررت مبدأ التكافل بعد مطالبات وضغوط كثيرة تعرضت لها من الأفراد ومن جهات أخرى ، أما الإسلام فإنه يقرر هذا المبدأ دون مطالبة من الناس ودون أن يتعرض لأى نوع من الضغوط .

رابعها : أن النظم المعاصرة عندما أقرت هذا المبدأ جعلته مقابل واجب مادى التزم به الفرد كما التزمت به الجماعة والمؤسسات من خلال الضرائب وأقساط التأمين وليس التكافل القائم على مساعدة الفرد للمجموع ، والمجموع للفرد لأنه يقوم على ما يدفعه الفرد مسبقاً ، أما التكافل الإسلامى فإن المستفيد من المال لايدفع شيئاً ، ولكن الذى يدفع هو المستغنى ، أما الدولة ومؤسساتها فهى واسطة لجمع المال من القادرين وتوزيعه على المستحقين .

خامسها : أن النظم المعاصرة تعتمد على التشريع والتشريع وحده لضمان مورد هذه الرعاية ، أما الإسلام فإنه يضيف إلى التشريع إثارة الضمير الإنسانى وتوجيه الوجدان وإحياء الشعور بالواجب ، وهكذا يترك الإسلام المجال رحباً أمام الوجدان الفردى الذى يريد أن

---

(١) سورة الحجرات : الآية ١٠ .

(٢) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٢٥ ـ ٢٥٤) .

يزيد على مافرض عليه أو التزم به من واجبات ، وهكذا يوجه الإسلام إلى الصدقة والبر ويحبب في الإنفاق طوعاً واحتساباً وانتظاراً لرضا الله وعوضه فى الدنيا ولثوابه فى الآخرة واجتناباً لغضبه وعذابه .

ب – سد ذرائع الفساد (الرعاية الاجتماعية) :

يعتبر سد ذرائع الفساد من الإجراءات الوقائية التى يدعو إليها الإسلام فهو يحذر بداية من الفساد واعتبره من الجنايات الاجتماعية وحذر أهله منه فى آيات كثيرة منها :

قوله تعالى :﴿**ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على مافى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد**﴾[1] .

وقال سبحانه :﴿**أم نجعل الذين آمنوا وعلموا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار**﴾[2] .

ولقد قال – ﷺ – فى سد ذرائع الفساد :((من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا إن حمى الله محارمه)) .

وعلى هذه الطريقة استمد العلماء بعض المبادئ التى ساروا فى التشريع على ضوئها وهى :

مايفضى إلى المحظور فهو المحظور .

مالايتم الواجب إلا به فهو واجب .

ما ضر كثيره حرم قليله .

ولقد شرح العلاّمة ابن القيم الجوزى فى كتابه : "إعلام الموقعين" مبادئ سد ذرائع الفساد وذكر تسعاً وتسعين مثالاً على ذلك مما أمرت به الشريعة أو نهت عنه .

٢– المجال العلاجى :

أ– الإصلاح الاجتماعى (علاج المشكلات الاجتماعية) :

لايخلو مجتمع من المجتمعات من المشكلات الاجتماعية التى تعبر عن نفسها فى صورة

---

(١) سورة البقرة : الآيات من ٢٠٤-٢٠٦ .

(٢) سورة ص :الآية ٢٨ .

مواقف أو صعوبات أو مشكلات تواجه الأفراد أو الأسر ، وظهور هذه المشكلات يتطلب اتخاذ الإجراءات لمواجهتها وللوقاية منها ، على مستوى المجتمع ككل ، أو إجراءات وممارسات تتخذ لمواجهة آثارها وأغراضها من خلال مساعدة الأفراد والأسر - بطريقة مباشرة- على حل تلك المشكلات ، وتنمية قدرتها على التعامل مع مثلها فى المستقبل(١) .

ومواجهة المشكلات الاجتماعية كبرامج علاجية يجب أن تقوم على إدراك لمسألة وجوب أخذ الجوانب الروحية المتصلة بصلة الإنسان بخالقه فى الاعتبار ، وبوجوب العمل بكل الوسائل على المحافظة على سلامة الفطرة ونقائها من شعور بالأخوة في الله ، وترتبط فى النهاية بتحقيق رضاء الله سبحانه وتعالى(٢) .

ب- تفريج الكرب (علاج المشكلات الفردية) :

من دواعى تكافل المجتمع وتحمل المسئولية نحو أفراده ، أن يؤخذ بيد من أصابته مصيبة فى ماله ونفسه وأن يراعى ذلك الذى ذهبت الجائحة بما لديه ، ولذا حث الإسلام على قضاء حوائج المحتاجين وتفريج كربتهم .

جاء في الحديث الشريف ..

"من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا الآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"(٣) .

ويرتبط تفريج الكرب بعلاج المشكلة الفردية الذى يتضمن من وجهة نظر إسلامية ما يلي:

أولا : تقدير الموقف أو المشكلة :

بحيث يتضمن دراسة ما يتصل بالحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) غير المشبعة وتقديرها حق قدرها دون زيادة أو نقصان ووضعها في موضعها الصحيح من

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم) ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٥٢ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم) ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ص ٦٠-٦١ .

(٣) رواه مسلم .

عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل في الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى) الأردن ، ١٩٨١ .

حاجات الإنسان فى الدنيا المتضمنة لأشواقه الروحية ومن حاجاته المتصلة بالحياة الأخرى ، أى ينبغى أن يتضمن ذلك أيضاً تقدير الموقف فيما يتعلق بنوع صلة العميل بربه سواء من النواحى المعرفية المتعلقة بصحة الاعتقاد والسلامة من البدعيات والشركيات أو من النواحى القلبية الوجدانية ، أو من النواحى السلوكية التعبدية بالمعنى الضيق للعبادات وبالمعنى الواسع للعبادة الذى يشمل طاعة الله فيما أمر ونهى في كل جوانب الحياة .

ويتوقع أن تنتهى نتيجة عملية تقدير الموقف بالنسبة للعملاء إلى ظهور واحدة من الحالات الآتية:

النوع الأول : حالة سلامة الاعتقاد ، مع حياة القلب ، وصفاء الفطرة .

النوع الثانى : حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب .

النوع الثالث : حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب .

ثانياً : تحديد استراتيجيات وأدوات التدخل المهنى :

١- ففي حالة سلامة الاعتقاد مع حياة الفطرة تتمثل الاستراتيجية المستخدمة في تقديم العون المادي المتصل بالعلاقات الاجتماعية أو غيرها بحسب الحاجة .

٢- أما في حالة صحة الاعتقاد دون هيمنته على القلب ، فإن العلاج يتمثل أساساً في معاونة العميل على أنس النفس (الجبلى) بالماديات لإفساح المجال أمام أنس الروح بالعبادات والطاعات التى تفتح الطريق أمام حسن الصلة بالله سبحانه و تعالى ، ومن هنا يصبح التحكم في النفس والسيطرة عليها لتوجيهها نحو خدمة الإنسان الكلي "بدناً وروحاً" بدلاً من خدمة حاجات البدن وحدها هو المفتاح الوحيد لحل الموقف الإشكالى . ويتطلب التعامل مع هذا النوع من العملاء استخدام استراتيجية متعددة الأوجه تستهدف معاونة العميل على إعادة النظر في حياته واستعادة توازنه من خلال عدة مراحل تتضمن :

أ- إنشاء علاقة "الأخوة في الله" بين الاخصائى الاجتماعي والعميل .

ب- مساعدة العميل على الاعتراف بأنه يواجه مشكلة لا يستطيع حلها وحده .

جـ- البدء في إجراءات تقديم العون والمساعدة لإشباع الحاجات الدنيوية (المادية والنفسية والاجتماعية) التى تتطلبها مواجهة الموقف العاجل الذى يعانى منه العميل على الوجه المعهود في الممارسة المهنية التقليدية .

د- مساعدة العميل -في الوقت ذاته- على إعادة النظر في الطريقة التى يسوس بها حياته حالياً، وإدراك العلاقة بين طريقة حياته وبين الوقوع في المشكلات .

هـ- بدء برنامج التنمية الروحية المتدرجة مع العملاء الذين استجابوا بهدف إزالة

الران الذى أحاط بالقلب واستعادة صفاء الفطرة ونقائها ويستخدم فيه :

العبادات -الطاعات -الذكر والتلاوة .

و- إعادة النظر في المشكلة الأصلية وفي طرق الاستجابة لمواقف الحياة في ضوء جديد.

ز- التدعيم والتثبيت .

٣- في حالة فساد الاعتقاد وسقم القلوب : يتمثل العلاج في العمل على تصحيح العقيدة أولاً حتى ينفتح الباب أمام إمكانية إصلاح القلب . وبعد مرحلة تصحيح العقيدة فإنه يتم السير وفق الاستراتيجيات التى استخدمت بالنسبة للعملاء من النوع الثاني[١] .

جـ- إغاثة الملهوفين (نجدة ضحايا الكوارث) :

من التكافل أن يبادر أفراد المجتمع وجماعاته إلى إغاثة الملهوف وهى مروءة يجب أن يتحلى بها المسلم فيسارع إلى إغاثة أسرة مات عائلها أو يساعد امرأة افتقرت بعد غنى أو إسعاف أناس أصابهم الغرق أو الحرق أو غير ذلك .

• قال عليه الصلاة والسلام : ((على كل مسلم صدقة ، قيل : أرأيت إن لم يجد ؟ قال "يعين ذا الحاجة الملهوف))[٢].

• قال عليه الصلاة والسلام : ((إن لله خلقاً خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه ألا يعذبهم بالنار ، فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس فى الحساب)) .

وبهذا يقرر النبى -ﷺ- ضرورة تكافل المجتمع في إغاثة الملهوف مما يدعو إلى قدرة الأمة وترابطها وتلاحم مشاعرها وتساند أفرادها وجماعاتها[٣].

٣- المجال الإنمائي :

أ- تزكية النفس (الارتقاء الأخلاقي) .

جاء الدين الإسلامي داعياً إلى الإعداد والارتقاء الأخلاقي للناس ، حيث إنه هو الذى يجعل من الصفات الحسنة كالصدق والأمانة والإخلاص والوفاء والشجاعة والعفة

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢) ،ص ص ٦٨-٧٨

(٢) رواه مسلم .

(٣) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل في الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١)، ص ص٢٦٣ -٢٦٤).

والمروءة والعدل وغيرها عادات في سلوك الإنسان كما تجعله نافراً في سلوكه اليومي من الصفات السيئة كالحسد والحقد والخيانة والكذب والظلم والغدر وغيرها . بل ويتم تجنب مظاهر غير مرغوبة في السلوك الإنساني كالحنق والتكبر والصلف والتهور ، والخوف والجزع وقبول الذل والمهانة والخشونة والغلظة في معاملة الآخرين(١).

ومع التأكيد على دور التربية والظروف البيئية كالأسرة والمدرسة في الارتقاء الأخلاقي وتزكية النفس ، فإن التصور الإسلامي يقوم على أن الإنسان أيضاً مسئول عن المحافظة على نقاء فطرته وسلامة قلبه وتزكية نفسه(٢).

قال تعالى : ﴿**ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾(٣).

ومن الأهداف التى ينبغى أن نسعى إلى تحقيقها من خلال الارتقاء الأخلاقي وتزكية النفس ما يلى :

١- تكوين مواطن يؤمن با لله تعالى خالق الكون والحياة ومدبر أمرها وحده فلا يعبد أحداً إلا هو ، ولا يتجه أو يلجأ لأحد إلا له ، ولا يطلب رضا أحد إلا رضاه .

٢- تكوين مواطن مؤمن باليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وبرسل الله وأنبيائه وملائكته وبالقدر خيره وشره .

٣- تكوين مواطن مفعم قلبه بحب الله وحب رسوله وحب دينه ويخشى الله ويخافه، يسعى جاهداً لطلب رضاه ويتمثل أوامره ويتجنب نواهيه ويراقبه في كل شئونه في السر والعلن ويأمل دائماً في رحمته .

٤- تكوين مواطن متحل بالقيم والأخلاق والعواطف الروحية والإنسانية المستمدة من الدين الإسلامي كحب الآخرين والعطف والشفقة عليهم واحترام حقوقهم ومصالحهم ، والإخلاص والأمانة، والوفاء بالعهود والمواثيق ، وتقدير المسئولية نحو ربه ونحو نفسه وأسرته ومجتمعه .

٥- تكوين مواطن يهتم بشئون المسلمين ويود الخير لهم ويخدم مصالحهم ويسعى لإصلاح أحوالهم ويرفع الظلم والضر عنهم .

---

(١) عباس محجوب : مشكلات الشباب – الحلول المطروحة والحل الإسلامي (كتاب الأمة ، قطر ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية) ،١٤٠٦ هـ ، ص١٤١ .

(٢) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجماعة الازهر القاهرة ١٩٩٢ ،ص ص ٣٨-٣٩) .

(٣) سورة الشمس : الآيات ٧-١٠ .

٦- تكوين مواطن واع بثقافته الإسلامية وبغاياتها الروحية والإنسانية[١].

ب- تهيئة الحياة الطيبة (الارتقاء الاجتماعي) :

نادى الإسلام بمسئولية الدولة عن تهيئة الحياة الطيبة من خلال توفير الرعاية الاجتماعية بحيث ينبغى ألا تقتصر تلك المسئولية على مجرد النص على الحقوق وتقريرها والنهى عن المساس بها نظرياً ، وإنما مسئولية الدولة في الفكر الإسلامي مسئولية إيجابية ، بمعنى أنها تمتد إلى تهيئة الوسائل لكفالة هذه الحقوق وممارستها عملياً وعقاب من يعتدى عليها[٢].

ومن مظاهر الارتقاء الاجتماعي ما يلى :

١- البعد عن الغيبة والنميمة ، وتحريم الغيبة لا يسع المسلم إلا أن يقاد له .

قال تعالى : **﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾**[٣].

عن أبى موسى ، قال : قلت يارسول الله ، أى المسلمين أفضل؟ ...

قال : "من سلم المسلمون من لسانه ويده"[٤].

وقال تعالى : **﴿ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم﴾**[٥].

وعن حذيفة ، قال : قال رسول الله -ﷺ- : "لايدخل الجنة نمام"[٦].

٢- عدم قول الزور فهو من الآفات التى تفسد العلاقات الإنسانية والاجتماعية في المجتمع ، ولذلك شدد الإسلام في النهى عنه وقرر في معرض حديثه عن الصيام الذى هو عند الله من أعظم القربات أن صوم قائل الزور مرفوض .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله -ﷺ- "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[٧].

---

(١) وليد شلاش : مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها (بيروت ، مؤسسة الرسالة) ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٨٩-١٩٠ .

(٢) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية في الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ المعهد العالى للخدمة الاجتماعية) ، ١٩٩١ ، ص ٤١ .

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٢ .

(٤) متفق عليه .

(٥) سورة القلم : الآيتان ١٠-١١ .

(٦) متفق عليه .

(٧) رواه البخارى .

٣- ومما يحقق الارتقاء الاجتماعي أن تتخذ الشورى منهجاً يتبع في المجتمع ويمتدح وأن يتشاور المواطنون في أمورهم وفقاً لما جاء به الإسلام .

قال تعالى : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾(١).

٤- عدم الاعتداء على حقوق الآخرين لأن ذلك يكون سبباً في عدم الارتقاء الاجتماعي في المجتمع .

عن أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارسي أن رسول الله -ﷺ- قال : "من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . فقال رجل : وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ . فقال وإن كان قضيباً من أراك"(٢).

ومن أجل وقاية المجتمع من عدوان الناس بعضهم على بعض ، يقرر الإسلام أن المعتدى لا تغنى عنه يوم القيامة صلاته ولا صيامه ولا زكاته وأنه هو المفلس من أبناء المجتمع(٣).

عن أبى هريرة ، أن رسول الله -ﷺ- قال : ((أتدرون من المفلس ؟ ... قالوا : المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع)) .

فقال : ((إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة ، بصلاة وصيام وزكاة ويأتى وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه وقذف ثم طرح في النار))(٤).

وحتى يساهم الإنسان في تحقيق الارتقاء الاجتماعي للمجتمع من وجهة نظر إسلامية فإن عليه(٥):

أولاً : ألا يكون اهتمامه بالدنيا اهتماماً يصرفه عن القيم الروحية فإن الغاية من الحياة هى تزكية النفس بمعرفة الله ومبادئه وتقوية العلاقات الطيبة بين الناس بالحب والعدل والإخاء .

---

(١) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) لبيب السعيد : العمل الاجتماعي – مدخل إليه ودراسة لأصوله الإسلامية (الرياض ، دار عكاظ للطباعة والنشر ١٩٨٠ ، ص ص ٩١-٩٨ .

(٤) رواه مسلم .

(٥) وليد شلاش : مشكلات الشباب والمنهج الإسلامي في علاجها (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٧٧ -١٧٨) .

قال سبحانه وتعالى : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾(١).

ثانياً : الاهتمام بأمر المسلمين والعناية بشأنهم والدفاع عنهم والذود عن حياتهم ، والعمل الدائب على ترقية حاضرهم وإعدادهم لمستقبل أعز وأكرم فإن هذا يقتضيه الإيمان وترتضيه الأخوة في الدين .

ثالثاً : ألا يقبل المسلم الذل ولا الضيم على الهوان ولا يستسلم للمكروه ، بل يعتصم بالله ويتقوى بالحق ، ويعتز بالمبادئ العليا التى يدين بها فالعزة ليست إلا ثمرة من ثمرات الإيمان .

قال تعالى : ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾(٢).

وقال سبحانه : ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾(٣).

وبهذا تتهيأ الحياة الطيبة للمواطنين في المجتمع فيحسنون استثمار أعمارهم ، ويعتدون بعلمهم فيتحقق لهم ولمجتمعهم الخير في الدنيا ويظفرون بنعيم الله في الآخرة .

ثالثاً : المستهدفون جغرافياً :

يجب أن تمتد مجالات العمل لكل المواقع التى يعيش فيها الإنسان متضمنة المجال الحضرى ، المجال الريفي ، المجال الصحراوى ، المجال الصناعى ، مجال المجتمعات المستحدثة .. إلخ .

ثالثاً : المستهدفون فئوياً :

يجب أن تشمل مجالات العمل ما يلى :

١- الأسرة :

على اعتبار أنها الخلية الأساسية في بناء المجتمع ، وقد رسم الإسلام سبيل السعادة للأفراد عن طريق الحرص على بناء الأسرة وسلامتها وصفائها(٤).

---

(١) سورة الحديد : الآية ٢٠ .

(٢) سورة المنافقون : الآية ٨ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٦٠ .

(٤) أحمد الحوفي : تحت راية الإسلام (القاهرة ، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية) غير مبين سنة النشر ، ص ص ١٣٧ -١٣٨) .

قال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[1].

ولكى تكتمل المودة في الأسرة أوصى الله سبحانه وتعالى بالو الدين خيراً وقرن الأمر ببرهما بالأمر بعبادته .

قال تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾[2].

وقال سبحانه : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾[3].

وحتى تكتمل الصورة الأسرية فقد صور الإسلام الأبناء في الأسرة بأنهم زينة الحياة الدنيا ولكنه أمرنا بحسن تربيتهم ورعايتهم .

قال تعالى : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا﴾[4].

ولقد عُنِي الإسلام بالأسرة وجعلها أساس المجتمع ، ومن أجل ذلك حض على الزواج . عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول "من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع منكم فعليه بالصوم فإنه له وجاء[5].

ولقد قامت الأسرة في الإسلام على ثلاثة أسس هى: [6]

الأساس الأول : المودة والرحمة بين الزوجين وتبقى الزوجية ما بقيت المودة .

قال تعالى : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾[7].

الأساس الثاني : العدالة وهى حق لكل من الزوجين .

الأساس الثالث : التكافل الاجتماعي في داخل الأسرة ، فالفقير العاجز تكون نفقته على الغنى القادر والضعيف يعاونه القوى والغنى إذا مات ورثه قريبه الفقير ...إلخ .

---

(١) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٢) سورة الإسراء : الآية ٢٣ .

(٣) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٤) سورة الكهف : الآية ٤٦ .

(٥) رواه البخارى .

(٦) محمد أحمد أبو زهرة : المجتمع الإنساني في ظل الإسلام (مؤتمر التوجيه الاجتماعي في الإسلام ، القاهرة ، الحديثة للطباعة) ، ١٩٧١ ، ص ص ٤٤-٤٦ .

(٧) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

٢- الأطفال :

أوجب الإسلام رعاية الأطفال وإحسان تربيتهم وإرضاعهم والإنفاق عليهم وجعل ذلك حقاً لهم على آبائهم وأولياء أمورهم وعلى مجتمعهم .

قال تعالى : ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾(١).

وقال رسول الله -ﷺ- "من حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه"(٢).

وأوجب الله سبحانه وتعالى النفقة للصغار .

قال تعالى : ﴿**وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾(٣).

وأوجب الإسلام من رعاية الصغير حضانة الأولاد لأنهم عاجزون عن النظر في مصالح أنفسهم وولاية أوليائه عليه في المال والعقود ، وجعل الرجال من الأب وغيره أولياء في ذلك لأنهم أقدر من النساء في تصريف أموال الصبى ، وجعل الحضانة وتربية الولد إلى المرأة لأنها أشفق على الصغير وأحن عليه وأقدر من الرجل على تربيته .

وللحاضن على الصغير ولاية الحفظ والتربية يرعاه ويقوم بما يحتاجه حتى يبلغ حداً يستقل فيه بخدمة نفسه .

وقد بلغت رعاية الإسلام للصغار حد منع الآباء أن ينفقوا أموالهم فى حياتهم فى المباحات بحيث يتركون أولادهم من بعدهم فقراء .

قال عليه السلام لسعد بن أبى وقاص ، وقد أراد أن يوصى بكل ماله للفقراء ويحرم ورثته وكانت بنتا صغيرة : "إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس"(٤) .

ومن شأن الدولة أن تهتم بالأطفال ، وأن توجد لهم دور الحضانة ومؤسسات الرعاية الاجتماعية ، وأن تهيىء لهم وسائل التمتع البرىء من النوادى والمساجد والملاعب وغيرها ، وأن تمكنهم من التثقيف والتعليم والتوجيه لاسيما الدينى منه بتعويدهم الصلاة فى المسجد والتردد عليه وإنشاء مراكز ثقافية ملحقة بالمساجد على أن يتم تحت رعاية متخصصين تتوفر فيهم الأمانة والخلق والدين وسعة الصدر حتى ينشأ الأطفال ، وقد انزرعت فيهم العقيدة

---

(١) سورة التحريم : الآية ٦ .

(٢) رواه أبو داود .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(٤) رواه مسلم .

الطيبة وانغرس فيهم الإيمان القوى وتحلوا بالخلق الطيب وتهيأوا ليكونوا أفراد المجتمع العاملين على تسانده وتكافله وقوته[1].

٣- الشباب :

تمثل مرحلة الشباب كمرحلة ممتدة منذ البلوغ حتى النضج سن طلب العلم ثم نشره فى المجتمع بعد ذلك ، وهى سن العمل والإنتاج فى فترة النضج فى شتى مناحى الحياة ، وسن الجندية والدفاع عن الوطن ، وسن الزواج وتحمل مسئولية تربية النشء وتنشئته التنشئة الاجتماعية السليمة وهو كمرحلة تقع بين الطفولة والشيخوخة تمثل مرحلة تحمل العبء الكبير فى النهوض بالمجتمع والحفاظ على كيانه[2] .

ويلفت القرآن الكريم أنظار الآباء إلى مهمتهم الأبوية المقدمة فى وصايا لقمان لابنه ومواعظه كما حكاها القرآن نفسه .

كما نجده يثنى على جماعة من الشباب فى قوله تعالى :

﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾[3] .

لماذا ؟ لأنهم هجروا قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة ، ولجأوا إلى الله فى كهف يعبدونه ويدعونه .

﴿ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا﴾[4] .

ونجد القرآن فى موضع آخر يوضح تأديباً رائعاً لأعضاء الأسرة المسلمة يشمل الشباب فى موضوع الاستئذان فى دخولهم على الكبار فى أوقات الراحة والخلوة .

قال تعالى : **﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم ، كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم﴾**[5] .

ويبين الرسول -ﷺ- طبيعة مرحلة الشباب وكونها أنسب المراحل صلاحية للتوجيه فى هذا الحديث التربوى القيم ..

---

(١) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة مكتبة الأقصى) الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٣٦ - ٢٤٠ .

(٢) أحمد محمد السنهورى وآخرون : الخدمة الاجتماعية مع النشء والشباب (القاهرة ، دار علاء الدين للطباعة والنشر) . ١٩٩٢ ، ص٣٧ .

(٣) سورة الكهف : الآية ١٣ .

(٤) سورة الكهف : الآية ١٠ .

(٥) سورة النور : الآية ٥٩ .

"أوصيكم بالشباب خيراً فإنهم أرق أفئدة ، لقد بعثنى الله بالحنيفية السمحة فحالفنى الشباب وخالفنى الشيوخ"[1] .

وهذا يقتضى منا أن نتعامل مع الشباب وفق مخططات علمية مدروسة ويحتاج ذلك إلى الحكمة التى أشار إليها القرآن .

قال تعالى : **﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾**[2] .

لذا فإن أنشطة رعاية الشباب يجب أن تركز على التربية الدينية وأن تكون فى برامجها وأساليبها تجسيداً للقيم الإسلامية ، وبذا يمكننا إعداد شباب الغد الذى سوف يمد جميع روافد المجتمع بالقوى البشرية العاملة من خلال المساهمة فى تنشئته تنشئة اجتماعية قويمة وتهيئة الظروف والإمكانات الملائمة لمساعدتهم على النمو المتوازن فى النواحى الخلقية والعقلية والبدنية والصحية والنفسية والاجتماعية وتأصيل القيم والتقاليد الإسلامية وإحياء التراث العربى والإسلامى فى ميادين الرياضة والترويح وتنظيم طاقات الشباب وقدراته الخلاقة وحفزها للمساهمة الإيجابية فى زيادة الإنتاج ورفع مستوى الخدمات فى إطار أهداف المجتمع المسلم[3] .

٤- المرأة :

إن دور المرأة فى تنمية المجتمع والنهوض به لا يقل عن دور الرجل بل إن كلاً منهما يدعم دور الآخر ويكمله ، كما أن الله سبحانه وتعالى اصطفى من النساء كما اصطفى من الرجال[4].

قال تعالى **﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض﴾**[5] .

وقال سبحانه وتعالى :**﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾**[6] .

---

(١) رواه البخارى.

(٢) سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٣) محمد سلامة غبارى : الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة والشباب (الرياض ، عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٩٨٣ ، ص ص ٢٨٣ - ٢٨٤) .

(٤) محمود شلتوت : من توجيهات الإسلام (القاهرة ، دار الشروق ، ط٦ ، ١٩٧٩ ص٢٠٦) .

(٥) سورة آل عمران : الآيتان ٣٣ -٣٤ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ٤٢ .

وقد اهتم الإسلام بالمرأة وكرمها مولودة وناشئة ، زوجة ، وأماً ، وأعطاها حرية العمل وحرية التعليم وحق الميراث[1] ، واهتم الإسلام بالمرأة الحامل والمرضع ونوه بالحالات التى تمر بها كل منهما والآلام التى تقاسيها ، وحدود المسئولية فى رعايتها على الزوج ثم على وارثه ثم على المجتمع ، وواضح ذلك فى قوله تعالى فيما تقاسيه الحامل :

قال تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلىّ المصير﴾[2] .

وأوضح الإسلام ضرورة العناية بالمرأة المرضع[3] .

قال تعالى : ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف﴾[4] .

ولقد كرم الإسلام المرأة باعتبارها مخلوقاً آدمياً له قيمته الإنسانية وكرامته .

قال تعالى : ﴿ولقد كرمنا بنى آدم﴾ .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾[5] .

وكرمها الإسلام وحافظ على كرامتها كزوجة .

قال تعالى : ﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾[6].

واعترف لها بحق التملك وجعل المهر حقاً من حقوقها وليس لأحد من أقربائها أن يأخذ منه شيئاً إلا بأمرها .

قال تعالى : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾[7] .

ثم قرر الإسلام حرية تصرف المرأة فى أموالها .

قال تعالى : ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾[8] .

---

(١) محمد نجيب توفيق : أضواء على الرعاية الاجتماعية فى الإسلام (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية) . ١٩٨٤ ، ص ص ٢٦٧ - ٢٧٧ .

(٢) سورة لقمان : الآية ١٤ .

(٣) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى، الأردن ١٩٨١ ، ص ٢٧١) .

(٤) سورة الطلاق : الآية ٦ .

(٥) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٦) سورة النساء : الآية ١٩ .

(٧) سورة النساء : الآية ٤ .

(٨) سورة النساء : الآية ٣٢ .

٥- المسنون :

إن الكبر (التقدم فى السن) قد أصبح ظاهرة عالمية حيث يتزايد أعداد من يصل من المواطنين إلى سنوات العمر المتقدمة .

ولقد راعى الإسلام فى أحكامه وتعاليمه أن توفر للشيوخ كل أنواع التقدير والاحترام والرعاية والعناية .

ولقد أوجب الإسلام رعاية المسنين والاهتمام بهم فى ذلك الشأن .

قال تعالى : **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً﴾**[1] .

وفى الحديث الشريف :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((لا يجزى ولد والدا إلا يجده مملوكاً فيعتقه))[2] .

وفى ضوء ذلك فإن واجب المجتمع أن يوفر الرعاية للمسنين من خلال التوسع فى إنشاء المؤسسات الاجتماعية لرعايتهم ، وأن يلحق بتلك المؤسسات أندية اجتماعية يتردد عليها المسنون، وأن يكون ذلك تحت رعاية متخصصين فى مختلف المجالات الصحية والنفسية والاجتماعية خصوصاً ممن لهم الخبرة فى مجال العمل مع المسنين ، بالإضافة إلى عدم مغالاة تلك المؤسسات فى تحديد قيمة الاشتراكات التى يدفعها المسنون نظير الالتحاق بها بحيث تتنوع وتتعدد خدمات تلك المؤسسات لتشبع احتياجات المسنين المتعددة[3] .

٦- اليتيم :

اليتيم هو الصغير الذى لا كاسب له أو هو من مات أبوه وتركه صغيراً ، وهو ضعيف يحتاج إلى رعاية وعناية ، ولقد حرص الإسلام على العناية باليتيم ورعايته والدعوة إلى الإحسان إليه والقيام بتربيته والعناية بأمره والنهى عن تركه وإهماله وأكل ماله وعدم تنميته له[4] .

---

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) عبد الحميد عبد المحسن : الخدمة الاجتماعية فى مجال رعاية المسنين (القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص ص ٩٥ - ٩٦) .

(٤) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص ٢٤٠ - ٢٤٣) .

قال تعالى : ﴿ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿وأما اليتيم فلا تقهر﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم﴾[3] .

قال رسول الله – ﷺ – : «من وضع يده على رأس يتيم رحمة ، كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة»[4] .

كما جعل الإسلام إطعام اليتيم وكفالته وكسوته من أعظم القربات إلى الله تعالى ، قال عليه الصلاة والسلام : «أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين» وأشار بإصبعيه[5] .

وإن كان اليتيم غنياً أوجب الله على المسلمين أن يكفلوه ويشرفوا على ماله وينموه له ومنعهم أن يأكلوا من ماله إلا بالتى هى أحسن .

قال تعالى : ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن﴾[6] .

وفى ضوء ذلك وجب على المجتمع أن يهتم بالأيتام ويمنع عنهم الفاقة والحاجة ويحرص على تربيتهم وتثقيفهم والرفق بهم وإبعادهم عن التشرد والضياع بكل وسيلة مشروعة كإنشاء دور الأيتام والمدارس والملاجىء وأن يعهد لمن يرعى حق اليتيم بإدارة تلك المؤسسات حتى تتوافر لهم الرعاية التى حددها الإسلام .

٧- المعوقون :

المعوق هو المواطن الذى استقر به عائق أو أكثر يوهن من قدرته ، ويجعله فى أمس الحاجة إلى عون خارجى واع مؤسس على أسس علمية وتكنولوجية يعيدها إلى مستوى العادية أو على الأقل أقرب ما يكون إلى هذا المستوى[7] .وقد تكون الإعاقة عقلية أو بدنية أو نفسية أو اجتماعية، وقد ذكرت أمثلة منهم فى القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾[8] .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٠ .

(٢) سورة الضحى : الآية ٩ .

(٣) سورة الماعون : الآية ١ - ٢

(٤) رواه أحمد .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) سورة الأنعام : الآية ١٥٢ .

(٧) إقبال إبراهيم مخلوف: الرعاية الاجتماعية وخدمة المعوقين (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٠، ص١٩) .

(٨) سورة البقرة : الآية ١٧١ .

والإسلام ينظر إلى رعاية المعوقين كواجب دينى ودنيوى يحاسب عليه الإنسان ، كما يأمر بالإحسان وينهى عن التكبر فى العلاقات مع هؤلاء الضعفاء .

وقد عنى الخلفاء والحكام المسلمون بالمعوقين ويبدو ذلك واضحاً فى اهتمام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وعبد الملك بن مروان وعمر بن عبد العزيز وغيرهم من الخلفاء الراشدين بتوفير الرعاية للمعوقين ، وبلغ من اهتمام عمر بن عبد العزيز بهذا المجال أنه حث على عمل إحصائية للمعوقين وخصص مرافقاً لكل كفيف وخادماً لكل مقعد لا يقوى على القيام ، كما أولت النظم الإسلامية ذوى العاهات التفاتاً خاصاً ، وعلى سبيل المثال أعطى الوليد بن عبد الملك المجذومين حتى أغناهم من سؤال الناس ، وأعطى كل مقعد خادماً وكل ضرير قائداً[1] .

قال تعالى : ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾[2] .

وواجب المجتمع أن يهتم بتلك الفئات ورعايتها ، فيهتم برعاية الأكفاء وضعاف البصر والبكم وضعاف العقول وتربيتهم تربية صحية ونفسية وتعليمهم حسب إمكانياتهم .

المبحث الخامس : كيفية تنفيذ السياسة المقترحة وعوامل نجاحها :

تعنى كلمة التنفيذ ترجمة السياسة إلى خطط تتضمن برامج ومشروعات تتناول المجالات المتعددة التى تسعى السياسة لخدمتها وتحقيق أهدافها من خلال العمل معها ، وتتحقق أهداف السياسة من خلال الوضع التنفيذى الصحيح لتلك البرامج والمشروعات ، وحتى نضمن سلامة ذلك فإنه لابد من توافر الضمانات المالية والبشرية والتنظيمية التى تساعد على ذلك وأهمها :

أولاً : الالتزام بشريعة الله سبحانه وتعالى وإقامة حدوده فى المجتمع :

حتى يضمن تنفيذ السياسة المقترحة لابد وأن يكون الإسلام هو أساس نظام الحكم ودستور للعدل لا مفر من اتباعه ولا يقبل من المسلم أن ينحرف عنه ، والأصل الذى يقوم عليه الحكم يتكون من ثلاث شعب : الشورى ، العدالة ، الحكم بما أنزل الله والرجوع إلى الكتاب والسنة واعتبارهما المصدر الوحيد للحكم فى الإسلام .

---

(١) ثريا عبد الرءوف جبريل : الخدمة الاجتماعية والفئات الخاصة (القاهرة ، بل برنت للطباعة والنشر ، ١٤٠٨ هـ ، ص١٩).

(٢) سورة النور : الآية ٦١ .

قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون با لله واليوم الآخر﴾(١) .

ويقول سبحانه : ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾(٢) .

والرد إلى الرسول بعد وفاته هو الرجوع إلى سنته ، والرد إلى الله سبحانه وتعالى هو الرجوع إلى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٣) .

قال تعالى : ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما﴾(٤) .

ثانياً : اعتبار الشورى فى الإسلام هى الأساس للوصول إلى السياسة الاجتماعية وتنفيذها:

لقد أوجب الله على الأمة طاعة أولى الأمر فيما يرتضونه لمصالحهم ، وهؤلاء سن الله لهم قانوناً يسيرون عليه يعفيهم به من الوقوع فى أخطاء قد تجر الدولة إلى الخراب ، وهذا القانون هو الشورى . فالشورى قاعدة من قواعد الشرعية الإسلامية التى يطبق بها القرآن الكريم .

قال الله تعالى : ﴿والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾(٥) .

وقال جل شأنه :﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾(٦)

ولم يكن النص على الشورى نظرياً فقد طبق النبى - ﷺ - على عظيم قدره ومنزلته وتأييده بوحى السماء فى كثير من الشئون التى لم ينص عليها القرآن مشورة أصحابه وكان يعمل بما يظهر له أنه الصواب ، فالله سبحانه وتعالى قال لرسوله :

---

(١) سورة النساء : الآية ٥٩ .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٣ .

(٣) محمد أحمد أبو زهرة : المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام (مؤتمر التوجيه الاجتماعى فى الإسلام . القاهرة ، الحديثة للطباعة ، ١٩٧١ . ص١١٧) .

(٤) سورة النساء : الآية ١٠٥ .

(٥) سورة الشورى : الآية ٣٨ .

(٦) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

﴿فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر﴾ .

أى لا يحملك ما كان من نتائج المشاورة على أن تتركها بل شاورهم فى الأمر ، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى يريد أن تكون سياسة المسلمين قائمة على مبدأ الشورى وألا يستبد بها فرد مهما كانت نتيجة المشاورة[1] .

وفى الحديث الشريف ما يؤكد أهمية الشورى فى الإسلام للاتباع فى كل أمور المسلمين ومنها :

– عن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله – ﷺ – قال لأبى بكر وعمر : ((لو اجتمعتما فى مشورة ما خالفتكما))[2] .

– عن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله – ﷺ – : ((المستشار مؤتمن))[3]

((إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه))[4] .

ومن دراسة مبدأ الشورى وتطبيقاته فى الحياة الإسلامية نلاحظ عدة أمور هى :

١– أن النص على الشورى كان من المرونة بحيث لم يقيد المسلمين بصورة معينة ولا بكيفية خاصة للشورى يلتزم بها الناس فلا يخرجون عليها ، فقد ترك لأولياء الأمور وللشعوب عامة أن تختار الطريقة المناسبة على أن يكون تطبيق الشورى تطبيقاً حقيقياً صحيحاً.

٢– أن استشارة المسلمين واجبة فى جميع المسائل والمصالح ومنها وضع وتنفيذ السياسة الاجتماعية ولا يقيد إلا بقيدين :

أولهما : أن الشورى لا تكون فيما ورد فيه نص إلا أن تكون فى حدود التنفيذ والتنظيم لما يبنه القرآن والسنة .

ثانيهما : أنه لا يصح أن تنتهى الشورى إلى ما يخالف نصاً أو يخرج على روح الشريعة .

ومثل هذين القيدين لا يغيران شيئاً من حقيقة الشورى لأن النصوص الواردة لا يمكن أن تقف أمام أى تجديد سليم أو تطوير صريح ، بل إننا نستطيع القول بأن اقتصار الإسلام

---

(١) ثريا عبد الرءوف جبريل : الخدمة الاجتماعية والفئات الخاصة (القاهرة ، بل برنت للطباعة والنشر ١٤٠٨ هـ ، ص ص١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) رواه أحمد .

(٣) رواه ابن ماجة وأبو داود والترمذى

(٤) رواه ابن ماجة .

فى شئون الحياة على القواعد العامة من أهم العوامل لأمره بالشورى وذلك لمجاراة الزمن وسد الحاجة للتطور والتقدم[1] .

ثالثاً : تدخل الدولة لتوفير برامج الرعاية الاجتماعية التى تتضمنها السياسة باعتبارها حقوقاً للمواطنين :

نادى الإسلام بمسئولية الدولة عن توفير الرعاية الاجتماعية للمواطنين ، فقد قرر الإسلام للإنسان من منطلق أنه خليفة الله على الأرض كل الحقوق التى تحفظ كرامته وأكد على التزام الدولة بكفالة هذه الحقوق وضمانها ، وهنا ينبغى أن نؤكد على أن مسئولية الدولة ينبغى ألا تقتصر على مجرد النص على الحقوق وتقريرها والنهى عن المساس بها نظرياً وإنما مسئولية الدولة فى الفكر الإسلامى مسئولية إيجابية بمعنى أنها تمتد إلى تهيئة الوسائل لكفالة هذه الحقوق وممارستها عملياً والعقاب على من يعتدى عليها[2] .

وتدخل الدولة فى تقديم برامج الرعاية الاجتماعية لا يقوم فى التصور الإسلامى على مجرد الاستجابة للضغوط السياسية الضيقة أو الاستجابة لتوازنات القوى المتقلبة ، وإنما تقوم على شعور الحاكم بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى فى ضوء ما شرع من حقوق العباد على الوجه الذى يرى فيه عمر مثلاً أنه لو عثرت بغلة فى العراق لكان متحملاً للمسئولية عما أصابها[3] .

فالإسلام ينظر إلى كل أوجه الرعاية الاجتماعية كحق للمواطنين تلتزم الدولة بتوفيره، ومن أمثلة ذلك ما قرره الإسلام بالنسبة للتعليم كأحد أوجه الرعاية الاجتماعية فلقد أولى القرآن الكريم عناية بالعلم ، وترتيباً على ذلك اتجهت الدولة الإسلامية إلى تهيئة سبل التعليم والثقافة للأفراد ، كما اهتم الإسلام بالرعاية الصحية ، ويتمثل ذلك فى حثه على العناية بالصحة والوقاية والعلاج من الأمراض وبناء المستشفيات ، كما نظم رعاية وتأمين الإنسان فى حالات البطالة والمرض والعجز والترمل قبل أن تعرفه البشرية[4] . أى أنه من واجب الدولة أن تكفل الحاجات الإنسانية اللازمة لكل فرد من أفرادها ولهذا فرضت الزكاة

---

(١) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٥ ، ص١٨٣ -١٨٤) .

(٢) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية فى الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ، ١٩٩١، ص٤١) .

(٣) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص٦١) .

(٤) نبيل محمد صادق : نحو مدرسة إسلامية فى الخدمة الاجتماعية (كفر الشيخ ، المعهد العالى للخدمة الاجتماعية ، ١٩٩١، ص٤٢) .

فى الإسلام[1] حتى يعتبر تأمين أفراد المجتمع فى حياتهم المعيشية أساس العبادة فى الإسلام والسبيل إليها حتى أن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله :

﴿رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى﴾[2] .

قرنه بقوله : ﴿كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً﴾[3] .

بل اعتبر الإسلام مجرد ترك أحد أفراد المجتمع جائعاً هو تكذيب للدين نفسه[4] .

قال تعالى : ﴿أرأيت الذى يكذب بالدين * فذلك الذى يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين﴾[5] .

لذا فإن واجب الدولة أن تتدخل لتوفير برامج الرعاية الاجتماعية التى تتضمنها السياسة المقترحة باعتبارها حقاً للمواطنين قرره الإسلام وشعوراً من الحاكم بالمسئولية أمام الله سبحانه وتعالى .

رابعاً : الاعتماد على مجموعة من التشريعات تكفل تحقيق أهداف السياسة المقترحة فى تقديم أوجه الرعاية للمواطنين :

حتى نضمن نجاح السياسة المقترحة فى خدمة الناس فى المجتمع والعمل على إسعادهم يلزم أن تلتزم الدولة بالتشريعات التى وضعها الإسلام لخدمة المستفيدين من السياسة ورعايتهم وأهم تلك التشريعات ما يلى[6] :

١- تشريع المساعدة :

وهو يشمل : المدين والغارم واليتامى ، والقاتل خطأ ، والمنقطع فى بلده ويسمى ابن السبيل .

٢- تشريع الجوار :

قال تعالى ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل﴾[7].

---

(١) أبو الأعلى المودودى : نظرية الإسلام وهديه (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ ، ص٣٠٧) .

(٢) سورة طه : الآيتان ٢٥ - ٢٦ .

(٣) سورة طه : الآيتان ٣٣ - ٣٤ .

(٤) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والمشكلة الاقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ ، ص ٩٤ -٩٥ .

(٥) سورة الماعون : الآيات ١ - ٣ .

(٦) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص ٣١٨ - ٣٢١ .

(٧) سورة النساء : الآية ٣٦ .

٣- تشريع الماعون :

قال تعالى : ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾[١] .

٤- تشريع المشاركة :

وذلك عندما يحين وقت المواسم الزراعية :

قال تعالى : ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾[٢] .

٥ - تشريع الضيافة :

قال رسول الله - ﷺ - : ((من كان يؤمن با لله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام وما بعد ذلك صدقة)) .

وفى رواية لمسلم :

((لا يحل لمسلم أن يقيم عند أخيه حتى يؤثمه ، قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه ؟ قال : يقيم عنده ولا شئ له يقريه به))[٣] .

٦- تشريع الإعفاف :

قال تعالى : ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾[٤] .

٧- تشريعات الإسعاف فى حالات الجوع والعطش المهلكة :

قال رسول الله - ﷺ - : ((أى رجل مات ضياعاً بين أغنياء فقد برئت منهم ذمة الله ورسوله))، وكذلك فى حالات الكوارث الخاصة كالفيضانات والزلازل والحرائق .

٨- تشريعات الطوارىء كحالات تعرض البلاد لهجوم عدو :

قال تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾[٥].

وقال رسول الله - ﷺ - : ((من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة))[٦] .

---

(١) سورة الماعون : الآيات ٤ - ٧ .

(٢) سورة الأنعام : الآية ١٤١ .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٥) سورة التوبة : الآية ٤١ .

(٦) رواه مسلم .

٩- تشريعات الإعانات العائلية :

كمساعدات الزواج وعلاوات الأولاد ، فقد كان رسول الله - ﷺ - إذا أتاه فى قسمة من يومه فأعطى الآهل حظين وأعطى الأعزب حظاً واحداً ، وكان عمر - رضي الله عنه - يفرض لكل مولود عطاء يزاد إلى عطاء أبيه (مائة درهم) ، كلما نما الولد زاد العطاء .

ولما كانت هذه التشريعات التى وضعها الإسلام لتحقيق التكافل الاجتماعى وتوفير الرعاية الاجتماعية للمواطنين تستلزم موارد مالية لضمان تنفيذها وإلا ظلت نظرية بحتة ، فقد سن الإسلام التشريعات المالية اللازمة للتنفيذ باعتبارها جزءاً من تشريعات التكافل الاجتماعى وهى :

١- تشريع الزكاة ، وتؤخذ بنسبة محدودة من النقدين (الذهب والفضة) وعروض التجارة والزروع والثمار وكل ما يستنبت من الأرض، وتصرف لفئات معينة تعتبر حقاً لهم.

قال تعالى : **﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله﴾** .

٢- تشريع الوقف ذرياً كان أو خيرياً .

٣- تشريع النفقات .

٤- تشريع الوصية .

٥- تشريع الغنائم .

٦- تشريع الركاز .

٧- تشريع الكفارات عن الذنوب والإيمان والظهار ومخالفات الحج والصوم .

٨- تشريع النذور .

٩- تشريع الأضاحى .

١٠- تشريع صدقة الفطر وهى زكاة الفطر فى رمضان .

١١- تشريعات الخزانة العامة بالنسبة لمواردها المتعددة من زكاة ، وخمس الغنائم وركاز وخراج الأرض وجزية وتركة من لا وارث له .

١٢- تشريع الكفاية .

وما أحرى المجتمع أن يلتزم بهذه التشريعات التى فى ضوئها تتحدد بعض مجالات الرعاية وتتوفر الموارد المالية اللازمة لتنفيذ البرامج والمشروعات التى تكفل تحقيق أهداف السياسة الاجتماعية .

خامساً : الاعتماد على الإنسـان بعد الله سبحانه وتعالى كأساس للتغيير وتنفيذ السياسة :

الإنسان فى نظر الإسلام هو أسمى من فى الوجود ، والإسلام جاء لتأكيد هذه المكانة له ، ذلك أن الإسلام جاء ليحقق للإنسانية مبدأ العدالة الإنسانية فى جميع جوانبها ومن ثم كان المنهج الإسلامى يهدف إلى بناء الفرد ، ومن بناء الفرد ينطلق إلى بناء المجتمع على اعتبار أن الإنسان هو أداة التغيير فى المجتمع .

وإذا كانت حكمة خلق الإنسان هى الخلافة ممثلة فى شرطيها العبودية لله وحده والسيادة على الأرض حتى تحين الوفاة ويجيء يوم الحساب ، فإنه بذلك تتحدد مهمته ورسالته فى الحياة الدنيا وذلك بشقيها وهما : عبادة الله بإقامة منهجه ، وسيادة الكون بتعميره وإحيائه ، ومن هنا كان إحداث التغيير فى المجتمع وتنميته وتعميره هو جوهر الخلافة ببعديها[1] .

قال تعالى **﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾**[2] .

وقال سبحانه : **﴿فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾**[3].

ويلخص الرسول عليه الصلاة والسلام حقيقة الدنيا ورسالة الإنسان فيها بقوله : «إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله استخلفكم فيها ، فناظر كيف تعملون»[4].

والفرد فى المجتمع مكلف فى نظر الإسلام بأن يرعى مصالح الجماعة على أساس أنه حارس لها وعليه أن يقوم بدوره بدون ضرر بالآخرين .

قال : - ﷺ - : «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى أعلاها ، فكان الذين فى أسفلها يمرون بالماء على الذين فى أعلاها ، فتأذوا به ، فأخذ فأساً فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه ، فقالوا: مالك قال: تأذيتم بى ولابد من الماء . فإن أخذوا على يديه انجوه ونجوا أنفسهم ،وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[5]. ويعتبر من أنواع التغيير المسئول عنها الإنسان تكليفه بأن يحسن علمه الخاص، ذلك أن ثمرة العمل الخاص ملك الجماعة وعائدة عليها فى النهاية .

---

(١) محمد شوقى الفنجرى : الإسلام والمشكلة الاقتصادية (الرياض ، دار الوطن للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ ، ص ص١٠٦ - ١٠٩).

(٢) سورة هود : الآية ٦١ .

(٣) سورة الجمعة : الآية رقم ١٠ .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) رواه البخارى .

قال تعالى : ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1] .

كما أن كل فرد مسئول عن رعاية ما هو فى حوزته من مصالح وتبعات .

قال رسول الله - ﷺ - «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[2] .

كما أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبر من أنواع التغيير المسئول عنها الإنسان نحو الآخرين فى المجتمع والتقاعس عن هذا الواجب الاجتماعى يؤاخذ به الفرد .

قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ .

وقال - ﷺ - : «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان» .

وحتى يستطيع الإنسان أن يقوم بدوره فى إحداث التغيير وتنفيذ السياسة المقترحة فإنه ينبغى أن يتم بناء تلك الشخصية الإنسانية بحيث يتوفر فيها صفات من أهمها : أن تكون داعية إلى الخير ، متعاونة ، ساعية لقضاء حوائج الناس ، محبة للفضيلة ومؤثرة لمصلحة غيرها على مصلحتها، وصادقة .

سادسا : الاهتمام بالبعد العقائدى كأساس يؤثر فى كل الأبعاد الأخرى للمجتمع إذا صلح هذا الأساس صلح المجتمع كله حيث إن العقيدة تدفع المسلم للتكيف وفقاً للمنهج الإسلامى :

لقد أوضح لنا الإسلام أن أساس المجتمع الصالح عقيدة صالحة ، وأن المجتمع الذى تنظمه عقيدة صالحة ينبثق عنها تشريع ينظم علاقات الناس ، وأخلاق وقيم تنبنى عليها أعرافهم وعاداتهم بما يضمن للمجتمع وحدته وتماسكه ، ويسوده العدل والنظام وتتكافل جماعاته وأفراده وتحكمه الطمأنينة والسلام .

ومن هنا كان أساس المجتمع فى نظر الإسلام العقيدة الإسلامية بما تشتمل عليه من الإيمان بالله إيماناً واضحاً خالقٌ لا شريك له ، والإيمان بالملائكة والأنبياء والرسل والكتب السماوية واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيرهما وشرهما من الله ، وبما ينبثق عنها من الأنظمة والأعراف التى تسود المجتمع وتحكم أفراده .

ومن هذا الإيمان يصدر التصور الذى يدرك به الإنسان المسلم حقيقة الله وحقيقة الكون الذى يعيش فيه ، وحقيقة الحياة التى ينتسب إليها ، وحقيقة نفسه وذاته ، ويكيف

---

(١) سورة التوبة : الآية رقم ١٠٥ .

(٢) رواه البخارى ومسلم وابن ماجه .

سلوكه ومعاملاته على أساسها وتعامله مع الكون على هداها[1]. خصوصاً أن مشكلة التخلف تتجه إلى أن يكون مردها اليوم إلى غياب البعد العقائدى ، وأى عمل يصدر من الإنسان ولا يقوم على أساس التقوى وصدق الإيمان فهو باطل ، ولو ألبسه صاحبه أفضل صورة من البر والإحسان. وكل قول يصدر عن قلب لا يؤمن با لله فإن ا لله لا يرفعه إليه ولا يثيب صاحبه عليه مهما كانت صورته لأنه صادر عن عقيدة ترعى فى عملها جانب المخلوق دون الخالق .

قال تعالى : ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً**﴾[2] .

وقال سبحانه : ﴿**أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف**﴾[3] .

وعلى الجانب الآخر نجد أن القلوب التى عمرت بالإيمان والتقوى تقوم فيها الرقابة الدينية على كل عمل من أعمال الإنسان فلا يصدر عنه قول أو عمل إلا فى ظل الخشية من ا لله .

المبحث السادس : دور الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة :

تسعى مهنة الخدمة الاجتماعية إلى إحداث التوازن بين الأفراد وأنفسهم ، وبينهم وبين مجتمعهم ، كما تعمل على إحداث تغييرات مقصودة في الوحدات الإنسانية التى تتعامل معها واستثمار طاقات وقدرات هذه الوحدات لتحقيق أفضل أداء ممكن لوظائفها الاجتماعية.

وتساهم المهنة مع غيرها من المهن في المجتمع في وضع وتنفيذ السياسة الاجتماعية ، وعلى ضوء ما تم اقتراحه فيما تضمنته السياسة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي يمكن للخدمة الاجتماعية أن تساهم بدور فعال في إنجاح تلك السياسة ، ويتضمن ذلك :

أولاً : تدعيم مشاركة المواطنين في وضع وتنفيذ السياسة :

إن الشورى في الإسلام من الأمور المهمة التى تضمن تضافر الجهود في سبيل تحقيق الأهداف ، ويمكن للخدمة الاجتماعية أن تساهم في زيادة مشاركة المواطنين في وضع وتنفيذ السياسة المقترحة من خلال تشجيع صور المشاركة التى أقرها الإسلام .

---

(١) عبد العزيز الخياط : المجتمع المتكافل فى الإسلام (مؤسسة الرسالة ، مكتبة الأقصى ، الأردن ، ١٩٨١ ، ص ص١١ - ١٤).

(٢) سورة النور : الآية ٣٩ .

(٣) سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

وتهتم الخدمة الاجتماعية بضرورة إعداد الناس للمشاركة في المجتمع عن طريق إمدادهم بالمعلومات والإرشادات حتى يكونوا على مستوى المشاركة في عملية وضع السياسة ، وأيضاً في مساعدتهم على تحديد مجالات وأوقات المشاركة حتى يمكن الاستفادة من المشاركين من خلال مشاركتهم بالرأى أو المال أو الجهد حسبما يتطلب الموقف بما يتناسب وظروف أفراد المجتمع .

ثانياً : إيقاظ الشعور بالمسئولية الشخصية لدى أفراد المجتمع ليكون لهم دور في الاعتماد عليهم بعد الله – سبحانه وتعالى – كأساس للتغيير ، إلى جانب إيقاظ الشعور بالتعاون في سبيل الخير وتحقيق أهداف السياسة :

وبخاصة أن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً بالتأكيد على مشاركة الفرد والجماعة والدولة في تحقيق الخير للجميع ، وعلى أداء حق الغير والجماعة وولاء الفرد لجماعته ومجتمعه ، وذلك من خلال المساهمة في تكوين الفرد المتوازن الذى لطبيعته المتوازنة لن يعتدى على حقوق غيره ، بل يمكن أن تتوازن المسئولية للفرد مع المسئولية الاجتماعية بما يحقق أهداف السياسة المقترحة ، حيث يتم ذلك على أساس من حقائق المنهج الإسلامي على أساس التوازن الكامل بين مطالب الفرد وحق الجماعة في جو من الحرية والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات .

ثالثاً: دراسة المجتمع والتعرف عليه وعلى مشكلاته كأساس لوضع وتنفيذ السياسة :

وتهدف دراسة المجتمع إلى التعرف على السياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي الذى سيكون موضع تنفيذ السياسة وطبيعة العلاقات الاجتماعية القائمة والقوى الاجتماعية المسيطرة وعادات المجتمع وتقاليده واتجاهاته بما يساهم في وضع وتحديد برامج الرعاية التى تتضمنها السياسة، ذلك أن من الأسس المقررة في تصميم البرامج أن كل برنامج يصمم على أساس منبت الصلة بالواقع الثقافي والاجتماعي الذى يعمل في إطاره محكوم عليه منذ اليوم الأول بالفشل أو على الأقل بضعف الفاعلية[١] .

والجانب الآخر الذي تهتم به الخدمة الاجتماعية في دراسة المجتمع هو مشكلات المجتمع ومعرفة نوعية تلك المشكلات بالنسبة لغيرها وعدد الذين يتأثرون بها الجهود التى بذلت لحلها .

بالإضافة إلى ذلك تهتم المهنة بدراسة إمكانات المجتمع الذاتية المتاحة سواء قوى بشرية أو مادية أو اقتصادية وأجهزة الخدمات القائمة ومدى فاعليتها وكيفية تطوير أدائها والاستفادة منها[٢].

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٩) .

(٢) محمد أحمد عبد الهادى : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة الإسلامية (ندوة التأصيل الإسلامي للخدمة الاجتماعية، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص١٧-١٨) .

ومن خلال استفادة الخدمة الاجتماعية بتلك الدراسات فإنها يمكن أن تكون أساساً لوضع برامج وخدمات وفقاً لما تستهدفه السياسة من أهداف للفرد والمجتمع على حد سواء .

رابعاً : الفهم الواعي لموضوع الجهود المهنية للخدمة الاجتماعية .. وهو الإنسان والذى على أساسه يمكن للمهنة أن تنجح في جهود التدخل المهني طبقاً للتصور الإسلامي :

إذا كانت الخدمة الاجتماعية كمهنة تستهدف مساعدة الإنسان كفرد أو كعضو في جماعة أو مجتمع على مواجهة مشكلاته وإشباع حاجاته ، مع تنمية قدراته إلى أقصى حد ممكن ، فإن من الواضح أن عملية المساعدة لابد أن تكون مبنية في الأساس على فهم كاف لموضوع تلك الجهود المهنية ألا وهو الإنسان من حيث طبيعته ومكوناته التى ركب منها أو من حيث ديناميات التفاعل بين تلك المكونات .

ولما كانت سياسات وبرامج ومؤسسات الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية تمثل الوعاء الذى تتم في إطاره الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية فإن وضوح التصور الإسلامي للأسس التي تقوم عليها تلك السياسات والبرامج والمؤسسات يعتبر شرطاً لازماً لابد منه لنجاح جهود التدخل المهني .

لذا فإن على المهنة أن تقوم بإعادة صياغة معارفها ومبادئها وطرقها في التدخل بشكل ينطلق من التصور الإسلامي والافتراضات الأساسية حول الإنسان والمجتمع والكون ، والتوصل إلى نظرية الممارسة في الخدمة الاجتماعية بما تشمله من المواقف والأعراض التي تتطلب التدخل ، كما تشمل الأهداف التي يوجه نحوها العمل المهني في كل نوع من تلك المواقف ، إضافة إلى استراتيجيات وأدوات التدخل الملائمة لكل منهما[1] .

خامساً : تحليل السياسة واقتراح مؤشرات بتعديلها على أساس المنظور الإسلامي الذى يحقق التغيير المنشود في الفرد والجماعة والمجتمع :

يمكن للخدمة الاجتماعية عن طريق الممارسين والأكاديميين المساهمة في وضع وتحليل السياسة الاجتماعية في ضوء خبراتهم المهنية للتعرف على مدى تحقيق السياسة لأهدافها في إشباع أقصى قدر من الاحتياجات الأساسية وضمان حد الكفاية لكل فرد من منظور المصالح المقصودة في التشريع من خلال عمل الأخصائيين الاجتماعيين في تقديم الخدمات للأفراد والجماعات والمجتمعات في المؤسسات الأولية والثانوية للخدمة الاجتماعية التي تضطلع بمسئولية تقديم البرامج والمشروعات التى تساعد على تحقيق أهداف السياسة ثم

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص٢٤).

التوصل إلى أسلوب لتعديل السياسة بالتعامل مع متخذى القرارات الخاصة بوضع السياسة بحيث توضع وفق أحكام الشريعة الإسلامية لتحقيق أهداف المجتمع وتكون متكاملة متوازنة تتخذ من إشباع الاحتياجات الروحية محوراً لجميع ما يقدم من خدمات لإشباع الاحتياجات المادية .

سادساً : العمل مع المنظمات والهيئات التى تساهم في تقديم الخدمات المرتبطة بتحقيق أهداف السياسة :

يحتاج تنفيذ السياسة المقترحة إلى أن تطور المهنة من أسلوب عملها في المنظمات التقليدية الحالية لممارسة المهنة على أساس من التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون . خصوصاً أن المهنة ما زالت في حاجة إلى جهود تبذل لاستخلاص ما تحتاج في مجال الممارسة في المؤسسات التقليدية وذلك من خلال قيام العاملين في هذه المجالات ببلورة الافتراضات الأساسية التى يقوم عليها التصور النظرى للأبعاد اللازم تأصيلها في ضوء خبراتهم[1] :

١- الطبيعة البشرية في المنظور الإسلامي .

٢- السنن النفسية والاجتماعية .

٣- تفسير المشكلات الفردية والمشكلات الاجتماعية .

٤- سياسات وبرامج الرعاية الاجتماعية والتنمية الاجتماعية .

٥- أساليب التدخل المهنى للخدمة الاجتماعية .

وإلى جانب ذلك فإن دور المهنة يتضمن العمل مع المؤسسات الإسلامية التى تهتم بتقديم تلك الخدمات إلى جانب المؤسسات التقليدية كالجمعيات الخيرية ومكاتب الدعوة والإرشاد والمساجد والمؤسسات التى تعمل في مجالات الكوارث والإغاثة والتهجير وغيرها من المؤسسات والتى يمكن للخدمة الاجتماعية أن تقوم بدور يساهم في تحقيق السياسة المقترحة من خلال مساعدة تلك المؤسسات .

سابعاً : الاهتمام بإعداد الأخصائى المسلم الذى يمثل قدوة المجتمع الذى يعيش فيه والاهتمام بتكوين شخصيته الإسلامية :

تحتاج مساهمة مهنة الخدمة الاجتماعية في وضع وتنفيذ ومتابعة وتقويم السياسة الاجتماعية قيام المتخصصين في المهنة وهم الأخصائيون الاجتماعيون بدورهم في ذلك ، ويلزم ذلك القيام بعدة إجراءات قد تكون ملائمة لإعداد الأخصائي الاجتماعي ومنها :

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامي للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥).

١- الاهتمام بالإعداد النظري للأخصائي الاجتماعي بحيث يتضمن دراسة مواد شرعية بالإضافة إلى دراسة طرق ومجالات الخدمة الاجتماعية في ضوء التصور الإسلامي للإنسان والمجتمع والكون .

٢- الاهتمام بالإعداد العلمي للأخصائيين الاجتماعيين من خلال الاهتمام بتدريبهم في مؤسسات العمل الإسلامي وتحديد الخطط التى سيتم التدريب عليها بما يكسب الطلاب المعارف والخبرات والمهارات والسمات الشخصية التى تساعدهم على ممارسة عملهم بعد التخرج .

٣- بذل جهود نشطة ومكثفة وواسعة النطاق حتى نتمكن من بلورة ذلك التصور الإسلامي واستكشاف أبعاده والتعرف على حدوده ، ثم إسقاط هذا التصور على نظرية الممارسة الحالية واستبعاد ما لا يتوافق معه ثم البناء على قواعد هذا التصور وعلى ما يعمد من الأطر التصورية التفصيلية المستمدة من المشاهدات المحققة ومن خبرات الممارسة حتى يبلغ الأمر غايته بظهور نظرية الممارسة المنطلقة من التصور الإسلامي[1].

ثامناً : اهتمام الخدمة الاجتماعية بإجراء الدراسات العلمية والبحوث في المجالات التى تحتاج لذلك لاستنباط المبادئ الجزئية التفصيلية الموجهة للمواقف العملية المحددة وإلى ابتكار أساليب التدخل الإجرائية الملائمة :

ومن أهم الموضوعات التى يجب أن تهتم بدارستها المهنة ما يلي :

- دراسة حول الأساليب المهنية اللازمة لإعداد الأخصائي الاجتماعي المسلم نظرياً وعملياً.
- دراسات تقويمية للتعرف على حقيقة البرامج التى تقدم من خلال مؤسسات الممارسة الحالية ووضعها بالنسبة لما يجب أن تكون عليه تلك البرامج في ضوء التصور الإسلامي .
- دراسات لتحديد أدوات وأساليب الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية بطرقها المتعددة في المجالات التى تقع في نطاق السياسة الاجتماعية .
- دراسات مرتبطة بطبيعة المشكلات الفردية والمجتمعية وأغراضها والأساليب التى يمكن استخدامها في حلها في ضوء التصور الإسلامي .
- دراسات مرتبطة بالزكاة كأساس لتمويل برامج السياسة الاجتماعية مصادرها ومصارفها .

---

(١) إبراهيم عبد الرحمن رجب : التوجيه الإسلامى للخدمة الاجتماعية (مؤتمر التوجيه الإسلامى للعلوم ، رابطة الجامعات الإسلامية وجامعة الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ٢١) .

- دراسات وصفية تاريخية لما كان يقدم من برامج متنوعة لرعاية الفئات التى تخدمهم السياسة فى الدولة الإسلامية الأولى .

- دراسة لنوعية المؤسسات التى تقدم من خلالها الخدمات كالمساجد والمدارس وغيرها فى الإسلام .

- دراسات عن علاقة مهنة الخدمة الاجتماعية بالمهن الأخرى لتحقيق أهداف السياسة في ضوء التصور الإسلامي .

- دراسات لتحديد دور الأخصائي الاجتماعي المسلم ارتباطاً بكل مجال من مجالات الممارسة التى تتضمنها السياسة .